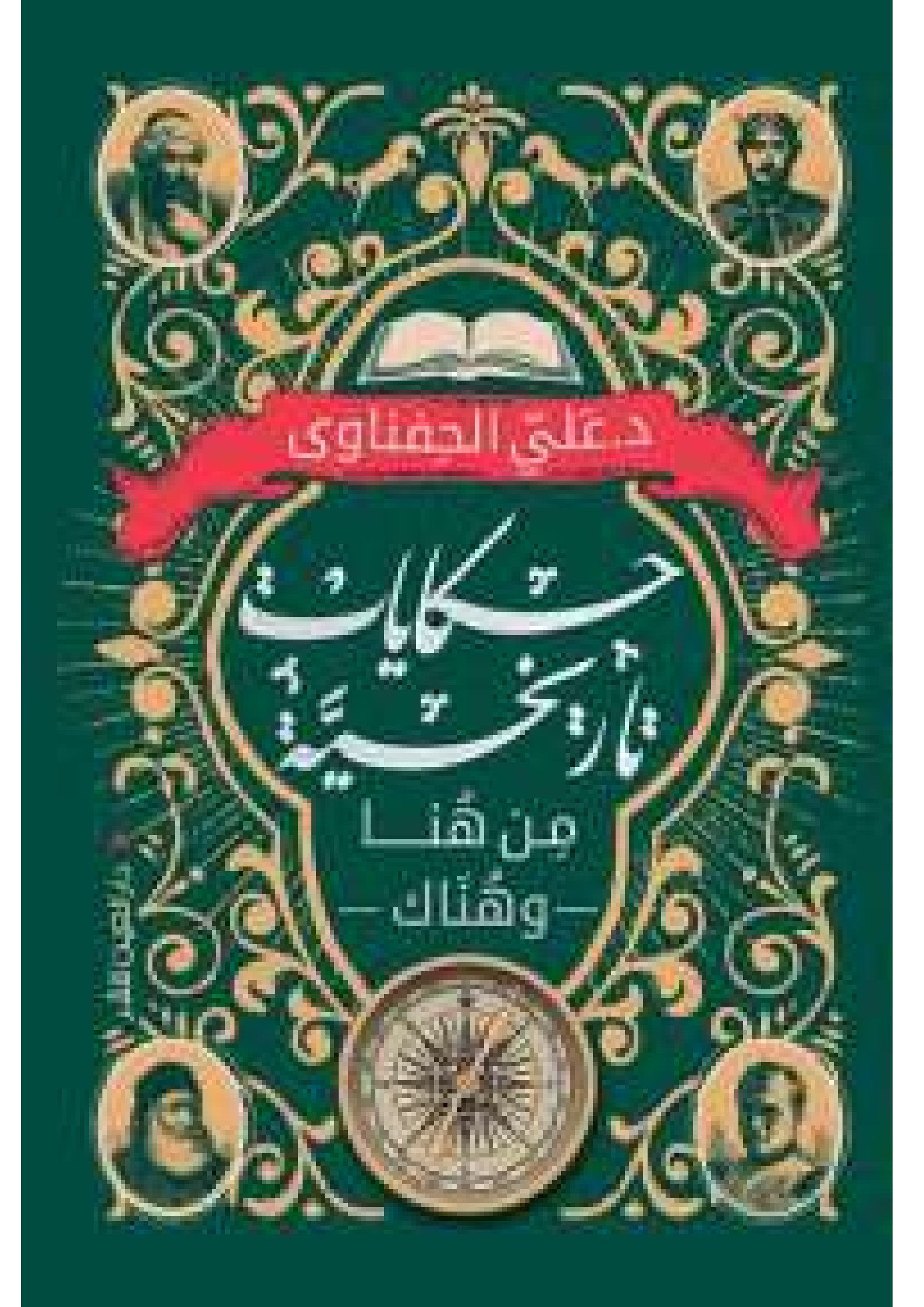
د.علي الجنباوي
حكايات
من هنا
وهناك

علي الحفناوى

حكايات تاريخية من هنا وهناك

مكتبة بيت الحصريات
maktabbah.blogspot.com

مقدمة

مكتبة بيت الحصريات
maktabbah.blogspot.com

بعد إصدار كتاب "تاريخيات مصرية" الذي لاقى الكثير من الاستحسان، رأيت جمع سلسلة أخرى من المقالات التي سعدت بكتابتها خلال السنوات الماضية.

مكتبة بيت الحصريات
maktabbah.blogspot.com

هذا الكتاب ينقسم إلى جزءين؛ الأول يخص بعض الموضوعات التاريخية المتناثرة، التي تضيف شيئًا من المعرفة للقارئ حول أحداث، كثيرا ما تغيب عنه لأسباب متباينة، وتساعد على فهم مجريات التاريخ وارتباط الأحداث العالمية ببعضها.

أما الجزء الثاني، فيختص بمقالات تتناول العديد من الذكريات الخاصة بي ، ببعضها لها بُعد سياسي أو تاريخي، وبعضها يضيف معلومات عامة عن موضوعات متفرقة تهم مختلف القراء.

بهذه المقتطفات أرجو الاستمرار في إضافة بعض المعارف إلى أبناء الأجيال الجديدة، وملء فراغ كثيرا ما نلاحظ حاجة الثقافة العربية له، مع استمرار غيابه في أروقة إعلامنا المصري والعربي، رغم انتشار وسائل إعلامية حديثة لم نعرفها من قبل.

الجزء الأول

تـاريخيـات من هنا

وهناك

مكتبة بيت الحصريات
maktabbah.blogspot.com

1 - ملك انجلترا العجيب

www.maktabbah.blogspot.com

ولد في منتصف القرن الثاني عشر (1157) أحد أشهر ملوك إنجلترا عبر التاريخ، نُصب ملكا وهو في الثانية والثلاثين من عمره، وتوفى بعدها بعشر سنوات عام 1199 . إنه الملك "ريتشارد قلب الأسد"، هذا الملك الذي عرفناه من خلال الحملة الصليبية الثالثة، الذى تصدى له صلاح الدين الأيوبي، فانتهت الحملة الصليبية بتوقيع الهدنة الشهيرة دون دخول ريتشارد مدينة القدس. لكن ما العجيب في هذا الملك؟

تتلخص الإجابة في عدة نقاط: إنه ملك إنجلترا الذي لم يتحدث يوما اللغة الإنجليزية. إنه الملك الذي لم يقض في حياته أكثر من عدة أشهر في إنجلترا. إنه الملك الذي رفض إنجاب أبناء ليخلفوه. وأخيرا، إنه ملك إنجلترا الذي مات ودفن بفرنسا، ومع ذلك فهو من أشهر ملوك إنجلترا.

جاء وقت كانت إنجلترا تحتل إحدى المقاطعات المهمة غرب فرنسا "النورماندي"، وكان "لويس السابع" ملك فرنسا يحكم فرنسا المنقسمة المتحاربة بين مقاطعاتها بزعامة النبلاء الإقطاعيين، كل في مقاطعته طامعًا في الاستيلاء على المقاطعة المجاورة له، كخطوة للاستيلاء فيما بعد على حكم فرنسا.

مكتبة بيت الحصريات
maktabbah.blogspot.com

ورثت فتاة تُدعى "أليونور" في الثالثة عشرة من العمر ملكية مقاطعة "الأكيتين" جنوب غرب فرنسا، شمال الحدود الإسبانية، فأراد ملك فرنسا تحييد تلك المقاطعة المهمة، فتزوج من تلك الفتاة، وهي في الخامسة عشرة من العمر، فأصبحت ملكة لفرنسا. لم يقم لويس السابع بأداء واجباته الزوجية لتفضيله حياة الرهبنة، وقت أن كانت الملكة هي التي تتخذ القرارات المهمة رغم صغر سنها، ورغم عدم تعود الفرنسيين على حكم امرأة. واستمر هذا الزواج سبعة أعوام فقط، لم تنجب خلالها أليونور سوى فتاتين بعد أن ضغطت

الكنيسة على الملك ليحاول إنجاب خليفة للعرش. فانتهت العلاقة بالطلاق، نظرا لقوة شخصية الفتاة، وضعف شخصية الملك.

بعد الطلاق بثلاثة أشهر فقط، تزوجت أليونور مرة أخرى بأحد النبلاء الفرنسيين (هنري) المهيمن على مقاطعة "الأنجو" المتاخمة للنورماندي. وكان زواجا لمصلحة الأكيتين والأنجو، مع طموح أليونور وزوجها في الهيمنة على كل الغرب الفرنسي.. حتى جاءت الفرصة، حينما ذهب هنري إلى إنجلترا مطالبا بحقه في ميراث العرش الإنجليزي بدعوى؛ أن له جدة من أمه، ذان صلة بالسلالة الحاكمة الإنجليزية.. وشاء الحظ في ذلك الوقت أن يتوفي ولى العهد.. وكانت إنجلترا تعيش أحداث حرب أهلية قضت على جزء كبير من ثرواتها وهيمنتها، فقبل الملك أن يكون هنري هو ولي العهد الجديد، حتى لا يترك العرش وإنجلترا فريسة لحروب أهلية ممتدة.. فأصبح ملك إنجلترا هو "هنري الثاني"، وأصبحت "أليونور" ملكة إنجلترا، بعدما كانت ملكة فرنسا. وهكذا امتد نفوذ تلك السلالة التي حملت اسم "البلانتاجين" من أقصى شمال سكوتلاندا إلى أقصى جنوب غرب فرنسا. وانحصرت المملكة الفرنسية في النصف الشرقي لفرنسا.

أنجبت أليونور وهنرى الثاني ثلاثة أبناء وخمس بنات. وكان الابن الأوسط هو ريتشارد، الذي لقب فيما بعد بريتشارد قلب الأسد. وكان هو الابن المفضل لأمه، وتربى في كنفها وبأسلوبها الفرنسي مع الميول للأدب والشعر والموسيقى. ولم يكن وليًا للعهد حتى توفي شقيقه الأكبر. وكان ريتشارد قد حاول، بمساعدة أمه، الانقلاب على أبيه الملك وهو لايزال في السابعة عشرة من عمره، ولم ينجح إلا في التسبب في حبس أمه بمعرفة الملك في أحد قصور إنجلترا لمدة خمسة عشر عاما، حتى وفاة الملك هنري الثاني، وتولى ريتشارد الحكم، ومارسه من داخل فرنسا في مقاطعة النورماندي، تاركا لأمه إدارة شئون القصر الإنجليزي.

maktabbah.blogspot.com

كان ريتشارد قد اكتسب سمعة الغلظة والغضب الشديد من أعدائه، فكان يتحول إلى حيوان مفترس بلا رحمة عند اضطراره مواجهة أعدائه (ولهذا سمي في فرنسا بقلب الأسد، رغم عدم تغيير اسمه في إنجلترا، حيث ظل "ريتشارد الأول").. وفي النقيض عرفت عنه ميوله الجنسية الشاذة (وإن لم تثبت بالأدلة) وميوله للفن والشعر. وكان أثناء الحملة الصليبية، يقتسم الفراش مع "فيليب أوجوست" ملك فرنسا، نظرا لعلاقة صداقة قديمة، تحولت مع الوقت إلى عداء وكراهية. ويذكر عنه؛ قيامه بحرق مدن كاملة وذبح أهلها بلا رحمة أثناء الحملة الصليبية، وقد فعل هذا في "ليماسول" بقبرص، وفي عكا بعد كسر حصنها.

كانت شخصية ريتشارد قلب الأسد مليئة بالتناقضات.. عاش أحداثا عديدة؛ آخرها كان قيام ملك النمسا بالقبض عليه أثناء عودته من الحملة الصليبية، وحبسه بالنمسا مطالبا إنجلترا بفدية ضخمة، اضطرت "أليونور"، وهي في الخامسة والسبعين من العمر، إلى جمعها بصعوبة لفك أسر ابنها المفضل بعد عامين من الحبس. ثم مات ريتشارد مقتولا بمقاطعة "الليموزان"، بجوار ليموج الفرنسية، وهو يحاول الاستيلاء على أحد القصور، للسطو على كنز عرف أنه مخبأ به. وتولى شقيقه الأصغر من بعده عرش إنجلترا، فانهارت كل المقاطعات الفرنسية التابعة لها، وعادت فرنسا لاستعادة السيطرة عليها داخل المملكة بعد حرب المائة عام.

عندما يكون حاكما – أو ملكا – قد ساقته الأحداث إلى الحكم، رغم عدم توافر المقومات لديه. ثم نجده قد دخل التاريخ، وأصبحت له صورة مثالية مليئة بالبطولات، رغم الحقائق التاريخية المعاكسة لذلك تمامًا، نضطر للتعجب من مصير هذا الملك. وينطبق ذلك على ريتشارد قلب الأسد تمامًا.

ولكن، هكذا يكون قدر بعض الملوك...

2 - الكردى الذي حكم مصر

مكتبة بيت الحصريات
maktabbah.blogspot.com

عاشت مصر في عصورها الوسطى حقبة قصيرة من الزمن لا تزيد على 23 عاما، بحلوها ومرها، صعودًا وهبوطًا، كان لها خلالها تأثير قوي على مصير الشرق الأوسط، فرسمت معالمه لقرون لاحقة، واختلطت الحقائق بالأساطير، فانطبعت في الذاكرة العامة، بـ "حواديت" وروايات مقتبسة من صحيح القصص، مضافًا إليها جميل زخارف الشرق الرومانسي، نتحدث عن فترة حكم صلاح الدين)1169 إلى 1193) ودولته الأيوبية (1169 إلى .(1250

وقد ولد صلاح الدين عام 1138 ، في تكريت (بلدة صدَّام حسين) بشمال العراق، لعائلة كردية مقرها الأصلى في "دوين" بأرمنيا، وانتقل والده إلى تكريت عندما كلفه الخليفة بالولاية على تكريت. وقد كانت الخلافة العباسية -في ذلك الوقت- قد ضعفت، وانقسمت بلاد الخلافة إلى دويلات يحكمها أمراء أو ولاة لا يهمهم إلا تحقيق مصالحهم الخاصة، ومحاربة الدويلات المجاورة لنهب وسرقة ثرواتها. أما مصر، فكانت في ظل حكم الخليفة الفاطمي الشيعي، لا تعترف بالخلافة العباسية السنية، حيث ظل هؤلاء الفاطميون يحكمونها لفترة طالت 262 عامًا. وكانت بلاد الشام، وعاصمتها دمشق يحكمها الزنكيون (ابن زنكي)، لكنها منقسمة بين ولايات دمشق، وحلب وحماة وغيرها. وكانت إمارة الموصل قائمة منفردة شرقا، وكذلك منطقة حكم السلاجقة، وشمال العراق تحت حكم الأتابكة، وكان الغرب مترهلًا لتصرفات قطاع الطرق من قبائل الحشاشين الذين بنوا الحصون بكل مكان، ليغيروا منها على قوافل التجار والحجيج.

وفى ظل انقسامات وحروب عرب المسلمين لبعضهم، أتت أول الغزوات الصليبية واحتلت فلسطين، وأقامت مملكة القدس التابعة

للكنيسة الكاثوليكية عام 1099 ، ونصبت أمراء أوربا عليها وعلى مقاطعاتها الممتدة من شمال لبنان (طرابلس) إلى جنوب فلسطين (غزة). وظلت تلك المملكة قائمة من 1099 إلى 1291.

عندما علم نور الدين زنكي، حاكم دمشق، بضعف موقف الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله، في مصر، وسيطرة وزيره ضرغام بن مالك على أمور الحكم، وانتشار الفساد والمؤامرات في ربوع الكنانة، أرسل قوات جيش الشام إلى مصر عام 1164 ، وكان معهم صلاح الدين الأيوبي، وهو لا يزال قائدًا صغيرًا في سن السادسة والعشرين، بغرض معلن هو حماية مصر من غزوات الصليبيين، وبغرض غير معلن هو؛ الخلاص من الحكم الفاطمي، وإعادة مصر إلى حظيرة الخلافة العباسية.

تناوبت المناوشات والمؤامرات والدسائس بتدخلات مباشرة من جواسيس الفرنجة، الصليبيين المتحالفين تارة مع الفاطميين، وتارة مع بدو الصحاري الشرقية وتارة مع النوبيين. وفي النهاية، وفي عام 1169 ، عُين صلاح الدين وزيرا للخليفة الفاطمي. وفي نفس العام، حاول الصليبيون غزو مصر عن طريق دمياط، فأرسل صلاح الدين قوات بقيادة شهاب الدين محمود، الذي استطاع صد عدوانهم، فهلكت قواربهم أمام السواحل المصرية، وهربت فلول قواتهم إلى شمال سيناء وغزة.

توفي آخر الخلفاء الفاطميين عام 1171 ، فتولى صلاح الدين حكم مصر، بصفته ممثلا للزنكيين، ثم استعد للاستقلال بمصر. وتحققت خطته بإقامة الدولة الأيوبية بالقاهرة عام 1174 ، وذهب يحارب تارة الجيوش الصليبية، وتارة الزنكيين وقبائل من فئة الحشاشين. واعتمد في كل معاركه على قوات وجنود أتى بهم من مصر. فكان يبقى بعيدًا عن مصر، ما دامت كانت قوات جيشه سليمة، لكنه، ومع تكرار بعض الهزائم هنا أو هناك، كان يعود إلى مصر لإعادة ترتيب قواته وتجنيد قوات جديدة. واستغل وجوده بالقاهرة عام

maktabah.blogspot.com

1176-77 لتحصينها ببناء قلعته الشهيرة، (مستخدما جزءًا كبيرًا من أحجار هرم خوفو)، ثم عاد إلى فتوحات الشام بأكتوبر 1177. وظل هكذا يكر ويفر بين المواقع والمعارك، تاركًا مصر تحكَم بمعرفة أشقائه وأقاربه، لا يعود إليها إلا لأغراض تنظيمية عسكرية، وللاستزادة بجنودها وبالأسلحة والزاد. استمرت معارك صلاح الدين موجهة أساسًا للدويلات والأمراء العرب بهدف توحيدهم تحت قيادته. لم تبدأ معاركه الحقيقية – عدا نادرا – مع الصليبيين (مرج عيون – عين جالوت) إلا في سبتمبر من عام 1183 ، وبنجاح محدود، حتى جاءت أم المعارك، في 5 يوليو عام 1187 ، فانتصر انتصارًا باهرًا في موقعة "حطين". وفي 2 أكتوبر من نفس العام، استطاع تحرير القدس. وعندما جاءت الحملة الصليبية الثالثة بقيادة، ريتشارد قلب الأسد (البريطاني)، نجحت الحملة في تحرير عكا من حصار صلاح الدين، وقامت بذبح ثلاثة آلاف من الأسرى المسلمين. لذلك، اضطر صلاح الدين إلى مهادنة الصليبيين، وتوقيع معاهدة الصلح التي أبقت على مملكتهم بفلسطين. علما بأنه قد أعيد احتلال القدس بعد عدة سنوات، ولم تحرر نهائيا إلا عام 1291 على يد الظاهر بيبرس الذي استطاع أيضا تحرير عكا وإنهاء مملكة القدس والوجود الصليبي من الأراضي العربية.

عاد صلاح الدين إلى دمشق الذي قضى بها جزءًا من طفولته، ومات بها عام 1193 عن عمر 55 سنة. وتلاشت الدولة الأيوبية بعد عدة سنوات من مصر، وبدأ حكم المماليك. وبدأت أسطورة موحد العرب الذي قضى على الصليبيين، وسقطت أدوار الجندي المصري من التاريخ، لكنه ظل معلومًا بكتب التاريخ، أن صلاح الدين ما كان له وجود من دون خير أجناد الأرض من فلاحي مصر.

فهل لنا أن نمدح الحاكم الكردي الذي قاد جنودنا وبنى أسطورته بهم؟ رحم الله صلاح الدين، ورحم أجدادنا من جنود مصر العظماء الذين صنعوا أسطورته.

مكتبة بيت الحصريات
maktabbah.blogspot.com

3 - دولـة الزنـج

ازدهرت الخلافة العباسية في ظل الخليفة هارون الرشيد، ثم بدأت تتدهور حتى كادت أن تسقط وتنتهي أثناء فترة حكمه في القرن التاسع الميلادي. ففى عام 869 الميلادي، قام أحد أعداء الخليفة، وكان اسمه "محمد بن عليّ"، من أهل فارس، بإيقاظ فتنة بين صفوف العبيد من عسكر وخدم القصر. كان هؤلاء العبيد ممن تم استحضارهم من أفريقيا، وتحديدا من "زنزيبار"، بالإضافة إلى بعض البلاد الأفريقية الأخرى، حيث أصبحوا من الزنوج الأقوياء المجندين في صفوف جيوش الدولة العباسية، وجرت تسميتهم بالزنج. كان قد أسلم معظم هؤلاء الزنج، وفق المذهب السني، ومع ذلك، كانت معاملتهم كعبيد قاسية للغاية. فكان منهم حرس الحريم، ممن تمت إزالة إخصائهم، إلا أنهم كانوا يُعتبرون من المميزين في المعاملة، أما العبيد الآخرون، فكانوا يقادون بالسياط في مختلف أعمال بناء مرافق الدولة العباسية.

نجح محمد بن عليّ في زرع الفتنة، عن طريق دعوته للزنج بالانضمام للمذهب الشيعي، حتى يمكن عتقهم وإطلاق سراحهم والحصول على حريتهم، وبما يسمح لهم بتولي حكم بغداد من بعد الخليفة. ونظرًا لكثرة عددهم، وتنظيم صفوفهم على يد العسكر المدربين منهم، كادت ثورة الزنوج هذه أن تنجح في إسقاط ومحو الدولة العباسية من الوجود. وفي سبتمبر من عام 970 ميلادية، أعلنوا بالفعل قيام دولة الزنج في البصرة. ومنذ هذا التاريخ، بدأ تدهور الخلافة العباسية ودولتهم في بغداد، رغم أن جنود الخليفة استطاعوا الانتصار على تلك الثورة، والقضاء على الفتنة الشيعية السنية بعد عام كامل من القتال والحرب.

وفق مختلف المؤرخين، تم تقدير عدد ضحايا ثورة الزنج برقم

يتراوح بين نصف مليون ومليونين من القتلى، وهو رقم ضخم جدًا لمثل تلك الفترة التاريخية. فأصبحت هذه الفتنة مثل فتنة معاوية مع الإمام علي بن أبي طالب، من أهم أساسيات الكراهية بين السنة وبين الشيعة. وهكذا، استمر تاريخ البلاد الإسلامية الطويل مليئًا بدماء الفتن السياسية، حيث تم تسييس واستعمال الدين ومذاهبه وقودا لها، لصالح أفراد وجماعات طامعة في الحكم والسيطرة على الآخرين.

واليوم، نجد الغرب، بغيًا في الهيمنة السياسية والحفاظ على مصالحه الاقتصادية، يقود نفس حملات "محمد بن عليّ" لإيقاظ الفتنة الشيعية السنية، بدايةً من بغداد وحرب العراق، واستمرارا في طهران واتفاقيات أوباما مع إيران، مرورا بسوريا الجريحة، والسعودية واليمن المتخبطين، ليقضي على ما تبقى من الحضارة العربية، وحلم الوحدة العربية.

أما العرب، فما زالوا يتصرفون مثل الزنج، تصورا لنيل حرياتهم.

maktabbah.blogspot.com

أكبر مكتبة للكتب و الروايات الحصرية
والمميزة والنادرة بصيغة PDF

تابعونا على الموقع الرسمي

www.maktabbah.blogspot.com

أو على قناة التيليجرام

t.me/alanbyawardmsr

4 - القتل باسم الدين

في عام 1572 ، اندلعت في مدينة باريس أبشع مذبحة عرفها التاريخ، راح ضحيتها رجال ونساء وأطفال، بلغ عددهم في يومها الأول ثلاثة آلاف شخص، ثم امتدت أحداث تلك "المجزرة" إلى العديد من المدن الفرنسية، حتى وصل عدد الضحايا إلى ثلاثين ألفًا. فقد انطلقت جموع الأهالى من الكاثوليك في نشوة "دينية" غير مسبوقة، باسم حماية معتقداتهم وحماية الكنيسة وبابا الفاتيكان، في حرب هستيرية ضد غيرهم من المسيحيين المنتسبين للعقيدة البروتستانتية، واختفت كل المشاعر الإنسانية أثناء تلك الهوجة، فقتلوا وذبحوا كل مَن تشككوا في عدم انتسابه للمذهب الكاثوليكية، أو تشككوا في حمايته لأفراد منتسبين للبروتستانت. لقد قتلوهم وقتلوا نساءهم وأطفالهم بلا رحمة. وسُميت هذه الأحداث بمذبحة "سان بارتيليمي".

هرب كثير من العائلات البروتستانت إلى جنوب فرنسا، حيث كانت أعدادهم كافية للدفاع عن أنفسهم، إلا أن الهجوم المستمر عليهم أدى أيضًا لهروب الكثير منهم إلى مدينة "جنيف" بسويسرا، مثلما فعل القس الفيلسوف جان كالفان، لينعم بحرية نشر مذهبه. واستمرت تلك الهجرات عبر السنين طويلا، حتى إنني أذكر حالة جدتي لأمي الفرنسية المولد، وقد هاجر أهلها البروتستانت إلى جنيف في نهاية القرن التاسع عشر، هربًا من اضطهاد الكاثوليك بمدينة "نيم" في جنوب فرنسا.

لم يتفق المؤرخون على تفاصيل الأسباب التي أدت إلى حدوث تلك الهوجة الإجرامية، ذات النزعة الحيوانية والقناع الديني. ولا تزال الاختلافات العقائدية حتى يومنا هذا تؤثر على وضوح الرؤية التاريخية وتحليلها. لذلك سنحاول فقط فهم التسلسل التاريخي

لتلك الفترة، واستخلاص الدروس التاريخية، نظرًا لما تمر به بلادنا من استقطاب حول المفاهيم الدينية التي قد تؤدي بنا -لا قدر الله- إلى أوضاع أبشع من تلك المذبحة التاريخية التي تمت باسم حماية المعتقدات الدينية.

قد تكون للمذهب البروتستانتية جذور تعود إلى القرن الحادي عشر الميلادي، إنما نشأة تلك المذهب -بصفة رسمية- محددة بعام 1517 ، (قبل المذبحة بخمسة وخمسين عاما)، وكان الداعي لها القس المسيحي الألماني "مارتن لوثر" الذي صاغ وثيقة "الخمس وتسعون رسالة أو أطروحة" اعتراضًا على مفاهيم وممارسات الكنيسة الكاثوليكية. وأضيفت لها أبحاث وأعمال القس الفيلسوف الفرنسي "جان كالفان". ونظرًا لقيام ذلك المذهب أساسًا اعتراضًا على ممارسات الكنيسة، فتمت تسمية تلك الجماعة بالمعترضين أي "البروتستانت".

وفيما يلي موجز لأهم نقاط الاختلاف بين البروتستانت وبين الكاثوليك:

• مرجع البروتستانت الأوحد هو الكتاب (العهد القديم والجديد) ولا يعترفون بالأعراف والتقاليد التي امتلأت بالتفسيرات المتشددة ذات الطابع المسيَّس.

• يرفض البروتستانت أي دور لأفراد وضعوا أنفسهم فوق مستوى العامة للوساطة مع الخالق (القس والراهب)، ولا يوجد لديهم إلا مرشدون وعلماء (رجال أو نساء) لهم دور استشاري فقط تجاه العامة. وليس لهذا الاستشاري أي دور لمنح صكوك غفران كما يفعل القس الكاثوليكي مقابل الاعتراف بالذنوب.

• لا يعترف البروتستانت بالبابا سواء الكاثوليكي أو الأرثوذكسي ولا لأي دور أو شكل قدسي لرجال الكنيسة من الأساقفة ورجال الكهنوت.

• يحق لرجال الكنيسة البروتستانتية، نظرا لصفتهم الاستشارية، الزواج مثلهم مثل كل العامة.

• لا يوجد لدى البروتستانت قديسون، بالتالي لا وجود لذكرهم في الصلاة كوسطاء مع الخالق، حتى إن السيدة العذراء نفسها لا دور وسيط لها، ويعتبر كل شخص مسئولا عن أعماله مباشرة أمام الخالق.

• لا يمارس البروتستانت صلاتهم بأداء علامة الصليب، كما يفعل الكاثوليك، فهم يعتبرون تلك الشعائر من بقايا الوثنية.

• يشجع البروتستانت أداء الأعمال المفيدة أو الخيرية مباشرة لغيرهم، دون وساطة للكنيسة.

ولتوضيح تلك الفروق أهمية لفهم، لماذا استشعرت الكنيسة الكاثوليكية الخوف من الأفكار البروتستانتية، حيث إنها تقلل من شأن الكنيسة ومن تسلطها على الحياة السياسية، وحفاظا على ثرواتها التي تجمّعت لديها عبر القرون من استنزاف العامة، باسم منح صكوك الغفران وما شابه.

وبالعودة إلى مذبحة سانت بارتيليمي، سنجد أن الكنيسة الكاثوليكية لعبت دورا خفيا، لكن خبيث، لإشعال الفتنة بين المسيحيين من الطائفتين، في حين كانت الملكية الفرنسية (خصوصًا الملك شارل التاسع وأمه كاترين دي ميديسيس) في ذلك الوقت تحاول الحفاظ على السلام الاجتماعي بعد عهود من الحروب الدينية، حتى إنها ضمت ضمن العائلة الملكية عددا من الأمراء البروتستانت، لكن يبدو أن بعض خبثاء الكاثوليك نجحوا في زرع الفتنة التي تسببت في تلك المذبحة، عن طريق تدبير حادث لمحاولة اغتيال أمير البحار "كولينيي"، وانتهت بعدها بأيام بمصرعه فعلا أثناء المذبحة.

بالقطع؛ إن الدرس الأول المستفاد من تلك الأحداث التاريخية هو؛ سهولة زرع الفتنة بين العامة باسم الدين، وبأسلوب يؤدي للقتل

مكتبة بيت الحكمة
maktabah.blogspot.com

والاغتيال دون إحساس بالذنب. وما أساليب داعش بجديدة في تاريخ البشرية. أما الدرس الثاني فهو؛ أن قيام رجال الدين بلعب أدوار سياسية، لا يوجد غرض من ورائها إلا السيطرة والسلطة المطلقة، وكلما حدث ذلك انهارت القيم الدينية والعقائد لصالح بعض رجال الكهنوت.

كم بالتاريخ من تفاصيل مريعة، لكن مفيدة، إن تدارسناها واستوعبناها.

maktabbah.blogspot.com

أكبر مكتبة للكتب و الروايات الحصرية والمميزة والنادرة بصيغة PDF

تابعونا على الموقع الرسمي

www.maktabbah.blogspot.com

أو على قناة التيليجرام

t.me/alanbyawardmsr

5 - من تاريخ جمهورية البندقية

دولة البندقية المستقلة (Repubblica di Venezia) التي تأسست على نظام جمهوري سنة 697 الميلادية، ظلت قائمة لمدة 1100 عام حتى 1797 ، إلى أن اختفت عندما احتلها نابليون، ثم تنازل عنها لإمبراطورية النمسا، بناء على اتفاقية "كامبو فورميو" بين نابليون وإمبراطور النمسا، مقابل ضم بلجيكا وأجزاء من ألمانيا إلى فرنسا، وانتهت بها الحال للانضمام إلى إيطاليا عام 1866 بعد حرب الاستقلال الثالثة لمقاطعات شمال إيطاليا ضد النمسا، بقيادة ملك إيطاليا الأول "فيكتور إيمانويل الثاني".

ما يثير الإعجاب بجمهورية البندقية هو؛ بقاؤها على الساحة السياسية العالمية كقوة تجارية عظمى لفترة طويلة، سيطرت خلالها على البحار بقوة أسطولها الضخم الذي استطاعت بناءه في ترسانتها البحرية الأكبر في العالم، حيث بلغت مساحتها ما يزيد على ثلاثة آلاف فدان، يعمل بها 16 ألف عامل، حتى كان يعتبرها البعض دولة داخل الدولة. وكانت تلك الترسانة تنتج السفن التجارية والسفن الحربية على السواء. وقد امتدت جمهورية البندقية البحرية إلى كل سواحل البحر الأدرياتيكي وجزرها، كما امتدت في العصور الوسطى إلى إستانبول وقبرص في شرق البحر المتوسط، بمناسبة اشتراكها في الحملة الصليبية الرابعة ضد الإمبراطورية البيزنطية. كذلك، كان للبندقية دور ثقافى مهم، فهي أول دولة في العالم تخترع الكتاب المجلد، لجعل الثقافة في متناول الجميع، سنوات قليلة بعد أن اخترع الألمان الطباعة.

تميز النظام الجمهوري للبندقية بخواص سياسية لم تكن دارجة في تلك العصور في أوربا. وكان موقفها من الفاتيكان يمثل نوعًا من الاستقلالية بفصل الدين عن الدولة، وتوزيع السلطات وفقا لنظام

انتخابي بين مؤسسات متنوعة. أما "رئيس" تلك الجمهورية، وكان يسمى الدوق أو الدوج، فكان منتخبًا من مجلس كبار العائلات الذي كان يضم عدة مئات من ممثلي العائلات. ودون الدخول في تفاصيل نظام الدولة، فيمكن التذكير بأن المفكر الفرنسي الكبير "جان جاك روسو" كان قد قضى سنة وعدة أشهر في جمهورية البندقية، للعمل لدى سفير فرنسا، لكنه استغل وقته لدراسة وتأمل نظامها السياسي والاجتماعي، انتهى بعد عدة سنوات بنشر كتابه الشهير "العقد الاجتماعي" سنة 1762 ، الذي بنت عليه الثورة الفرنسية جزءًا كبيرًا من توجهاتها السياسية، وأصبح مرجعا فكريا وفلسفيا في العالم كله.

وقد احتفظت جمهورية البندقية بعلاقات خاصة ومتميزة مع مصر، مبنية على تبادل المصالح التجارية بين البلدين. فقد كانت مصر تمثل المعبر التجاري الأوحد لمعظم السلع القادمة من الهند وشرق آسيا. وقد وقع صلاح الدين الأيوبي في عام 1172 ، اتفاقية تعاون من "سيباستيانو زياني"، دوق جمهورية البندقية، بما سمح لها بفتح قنصلية في الإسكندرية، وإقامة فندقين بمخازن ومحلات مخصصة لتجار البندقية دون سواهم.

تأثرت جمهورية البندقية بالحرب التجارية التي شنتها البرتغال ضدها للسيطرة على طرق التجارة مع الهند. وقد زاد هذا التأثير السلبي بعد قيام فاسكو دي جاما باكتشاف طريق رأس رجاء الصالح، فبدأت البرتغال تقوم بدور بائع الجملة لأوربا، الذي كانت البندقية تقوم به. كذلك تأثرت حركة التجارة الدولية في مصر، ولم يتبق من السلع العابرة للقطر المصري سوى القليل مثل البن اليمني والتومباك.

عندئذ، وفي 1504 ميلادية، جاء إلى مصر "فرانسيسكو تلدي"، سفيرًا ومندوبًا تجاريًا مرسلًا من دوق البندقية للتفاوض مع السلطان قنصوة الغوري على أمرين: محاربة البرتغاليين في المحيط الهندي

والتأثير على أمراء الهند لمقاطعة السفن البرتغالية، والأمر الثاني، التعاون في حفر قناة تربط بين البحر الأحمر والبحر المتوسط لتسيير السفن التجارية من خلالها إلى طريق الهند وطريق البقول. وبالفعل تم توقيع اتفاق فيما يخص الأمر الأول، وقامت البندقية بتوريد الأخشاب والحديد لبناء أسطول مصري وأسلحة في البحر الأحمر - رغم اعتراض الفاتيكان على امداد مصر بخامات صنع الأسلحة - لكن قنصوة الغوري أجّل مشروع حفر قناة السويس خوفًا من اقتراب الحملات الصليبية من مكة والمدينة.

وبالفعل، حدثت عدة اشتباكات ومعارك بين الأسطول المصري والسفن البرتغالية، في المحيط الهندي وفي البحر الأحمر، كان بعضها لصالح المصريين، ورغم محاولات قنصوة الغوري تهدئة تخوفات العثمانيين من تلك المعارك، وقيامه باعتقال بعض مندوبي وسفراء جمهورية البندقية في مصر، فإن السلطان العثماني قرر إخضاع مصر واحتلالها، فتبخرت أحلام جمهورية البندقية في إيجاد طريق بحري جديد للهند، من خلال التعاون مع مصر لحفر قناة السويس. وبعد نحو ثلاثة قرون، أنهى نابليون وجود جمهورية البندقية، وجاء مصر لحفر قناة السويس، وهذه قصة أخرى.

maktabbah.blogspot.com

أكبر مكتبة للكتب و الروايات الحصرية
والمميزة والنادرة بصيغة PDF

تابعونا على الموقع الرسمي

www.maktabbah.blogspot.com

أو على قناة التيليجرام

t.me/alanbyawardmsr

مكتبة بيت الحصريات
maktabbah.blogspot.com

6 - أمريكا الفرنسية

كان مولد دولة "الولايات المتحدة الأمريكية" في شهر سبتمبر عام 1783 قد تم الإعلان عنه خلال اجتماع عُقد بقصر فرساي في فرنسا بحضور الملك الفرنسي لويس السادس عشر وملك بريطانيا جورج الثالث، في وجود مندوب عن ملك إسبانيا. في هذا الاجتماع، تم الإعلان عن انتهاء حرب الاستقلال الأمريكية، وانضمام 13 مستعمرة بريطانية تحت لواء جديد لدولة تمت تسميتها بالولايات المتحدة الأمريكية.

والجدير بالذكر، أن تلك المستعمرات الأوربية الأصل، التي سمت نفسها بالولايات، لم تكن تضم من السكان ما يزيد على خمسة ملايين نسمة، وكان تعداد سكان أكبر مدنها (فيلادلفيا) لا يزيد على 40 ألف نسمة.

وفي ذلك اليوم التاريخي من شهر سبتمبر، وافقت بريطانيا على الطلب الذي تقدم به شخصيا بنيامين فرانكلين لسفير بريطانيا بباريس، الذي بمقتضاه اعترفت بريطانيا بخسارتها الحرب، وباستقلال الولايات المتحدة الأمريكية عن الإمبراطورية البريطانية. لكن ظلت الدولة الجديدة هشة، تضم بعض الأراضي المتفرقة في أرجاء القارة الأمريكية، فاجتهد مؤسسو الدولة الجديدة لإصدار دستور لحكم البلاد وفق نظام فيدرالي جمهوري: "الجمهورية الأمريكية"، ولم يكتمل ذلك الدستور إلا بعد أربع سنوات. أما أول رئيس جمهورية، فلم ينتخب إلا عام 1789 ، وكان جورج واشنطن.

كان العداء بين بريطانيا وفرنسا شديدا منذ قرون مضت. وقد خسرت فرنسا بعض المعارك عبر التاريخ في القارة الأمريكية، مثل خسارة الأراضي الفرنسية التي استعمرتها بريطانيا وحولتها إلى

دولة كندا. لذلك، عكفت الدولة الفرنسية على محاربة بريطانيا في أمريكا، فدعمت ومولت التجمعات التي قادت حرب الاستقلال ضد بريطانيا، حتى انتصرت.

وعودة لاجتماع فرساي في سبتمبر 1783 ، كان الملك لويس السادس عشر، لا يبلغ من العمر سوى 28 عاما، لكنه كان مدركا لمغزى هذا الاجتماع الذي كرس انتصار حلفاء فرنسا في حرب الاستقلال، فكان سعيدا بإعلان قيام الدولة الأمريكية في الوقت الذي كان ملك إنجلترا يعيد ترتيب أوراقه للحصول على مستعمرات بديلة في مختلف بقاع العالم، وبصفة خاصة على كامل شبه الجزيرة الهندية، لمنع الوجود الفرنسي بها، وقد كان... فهل كان الملك الشاب يدرك نتائج هذا الانتصار؟

كانت التكلفة المالية والعسكرية للدعم الفرنسي لنشأة الدولة الأمريكية المستقلة باهظة، أدت إلى الاهتزاز المالي للمملكة الفرنسية. فقد كانت حربًا بالوكالة، أحد أطراف التوكيل لا يمثل إلا جماعات مشتتة من رعاة البقر غير المنظمين، في حين أن الطرف الذي يتحمل عبء التنظيم وتكلفته يمثل دولة قوية، لكنه لا يحارب حربا مباشرة. أدى هذا الدعم إلى وفاة العديد من كبار القادة العسكريين الفرنسيين، وأدت إلى خراب خزانة الدولة الفرنسية.

لتلك الأسباب، ولمحاولة علاج الموقف الداخلي، اضطر الملك لويس السادس عشر إلى دعوة لاجتماع طارئ لأجهزة الدولة الفرنسية عام 1789 . وكان الهدف من الاجتماع تشريع نظام ضريبي جديد لعلاج خزانة الدولة وأحوالها المالية. فكان هذا الاجتماع هو أول مسمار في نعش المملكة الفرنسية. فكانت تبعات الاجتماع الذي رفض أثناء انعقاده كل طلبات الملك، قيام الثورة الفرنسية خلال شهرين فقط منه، ثم كانت تبعات الثورة الدرامية إعدام الملك لويس السادس عشر بالمقصلة يوم 21 يناير عام 1793.

وعلى الرغم من محاولات عودة النظام الملكي فيما بعد، خاصة بعد حكم الإمبراطور نابليون بونابرت، فقد انتهت تلك المحاولات عام 1848 بخلع الملك لويس فيليب الأول وإعادة النظام الجمهوري باسم الجمهورية الثانية.

هكذا كانت لولادة الدولة الأمريكية الجديدة نتائج أدت لنهاية الدولة الفرنسية بنظامها الملكي، فكانت مثل القشة التي قسمت ظهر البعير.

أما عن تبعات العلاقات الأمريكية الفرنسية، فقد قام نابليون بونابرت بتحويل الجمهورية إلى إمبراطورية، معينا نفسه إمبراطورا على فرنسا، وهو لا يزال في مقتبل الحياة، ولم يكن قد تعدى التاسعة والعشرين من عمره، ولم يمنعه ذلك من غزو دول كبرى في ذلك الوقت مثل النمسا وبروسيا (ألمانيا) وغيرها حتى أصبح الإمبراطور المسيطر على معظم أوربا.

التفاصيل الشخصية البارعة لنابليون، هذا الشاب غير التقليدى، التي يمكن تلخيصها في الذكاء الحاد والدهاء التكتيكي والفكر الإستراتيجي الواضح إلى جانب الأخذ بأساليب مستحدثة لا يتوقعها ولا يفهمها عدو أو صديق في كل تحركاته، سواء العسكرية أو السياسية، جعلته يتخذ قرارا تاريخيا خطيرا بغرض تمويل تلك الإمبراطورية الناشئة والمهيمنة.

بالإضافة إلى مصادر التمويل التقليدية، قام نابليون ببيع أمريكا للأمريكان. باع الأراضي الشاسعة من قارة أمريكا الشمالية التي كانت تحت النفوذ الفرنسي، بدءا من اللويزيانا جنوبا حتى حدود كندا شمالا بمساحة تقدر بما يزيد على 2 مليون كيلومتر مربع. وكانت تلك الأراضي في ذلك الوقت تزيد على مساحة الولايات المتحدة ذاتها. (لكنها لا تمثل الآن سوى 23 % من المساحة الكلية للولايات المتحدة الحالية). وكان سعر البيع النهائي يمثل 15 مليون دولار (نحو 150 تريليونًا بسعر اليوم).

تحققت أهداف نابليون من هذا البيع وهى: التخلص من أعباء إدارة بلاد بعيدة تحتاج لتنمية وموارد ضخمة، بالإضافة إلى عدم اختصام الولايات المتحدة في خلاف فرنسا مع بريطانيا. وقد أدى ذلك إلى حصول فرنسا على مصدر دخل ضخم غير متوقع، سمح لها بإرساء قواعد إمبراطوريتها في أوربا، ولاحقا في مستعمراتها الجديدة.

كانت المفاوضات السرية والعلنية لإنهاء هذه الصفقة قد استمرت ثلاث سنوات، وكان يقودها هذا الشاب النابغ نابليون بونابرت حتى حصل على مراده كاملا بنهاية سنة 1803 ، في حين دخلت الولايات المتحدة في حالة إفلاس لعدة سنوات نتيجة لهذا الشراء، شراء استقلالها التام.

أسماء فرنسية لامعة صنعت الولايات المتحدة الأمريكية، مثل لويس السادس عشر ولافاييت وبونابرت. تضحيات هائلة قدمتها فرنسا لتحصل أمريكا على استقلالها... فهل ابتعدت أمريكا عن الهيمنة البريطانية حقا؟ التاريخ يقول عكس ذلك، فهو تاريخ مليء بالعبر...

maktabbah.blogspot.com

أكبر مكتبة للكتب و الروايات الحصرية
والمميزة والنادرة بصيغة PDF

تابعونا على الموقع الرسمي

www.maktabbah.blogspot.com

أو على قناة التيليجرام

t.me/alanbyawardmsr

7 - الشيخ شخبوط

كان الشيخ شخبوط على رأس قبيلة كبيرة معتزًا بانتمائه للصحراء ولدينه وقبيلته. وكان أجداد الشيخ قد استقروا بقبيلتهم منذ سنوات طويلة في هذا الركن من الصحراء، هربًا من الغزوات الوهابية في منطقة نجد بالجزيرة العربية. ولسوء الحظ، كانت تلك البقعة الصحراوية تقع في منتصف طريق الهند، حيث تمر بها بضائع الحركة التجارية المهيمن عليها من بريطانيا العظمى في ذلك العصر، فما كان من بريطانيا إلا احتلال تلك المنطقة عام 1820 ، تاركة لأجداد الشيخ شخبوط زعامة القبيلة، التي سمَّتها إمارة.

ورث الشيخ شخبوط حكم إمارته عام 1928 ، وظل يقاوم الهيمنة البريطانية بكل الطرق، رافضًا الانسياق وراء أضواء الحداثة الأوربية. وعندما بدأ ظهور البترول في المناطق المجاورة لإمارته، رفض إعطاء الشركات البريطانية حق التنقيب واستغلال البترول، مفضلا الفقر على فقدان هويته العربية. وفي مطلع خمسينيات القرن الماضي، بدأ بإعطاء تصريح محدود لإحدى شركات البترول حتى يستطيع سد احتياجات رعاياه بالإمارة.

تضاعف الضغط البريطاني على الشيخ شخبوط كلما ازدادت الأهمية الإستراتيجية للبترول، لكنه لم يرضخ رغم الاحتلال. وفي عام 1966 ، تم ترتيب عملية إقصاء هادئ للشيخ من حكم الإمارة، وتولى شقيقه الشيخ زايد حكم إمارة أبوظبى.

كانت للشيخ زايد رؤية مختلفة لمستقبل بلاده. وبدأ على الفور بإعطاء تراخيص التنقيب عن البترول وامتياز استغلال الآبار للشركات البريطانية، وحصل على الاستقلال عام 1968 . وظل يتابع بنهم شديد إنتاج البترول حتى صارت أبوظبي تنتج 9 % من بترول العالم، وأصبحت تلك الإمارة الصحراوية من أغنى دول العالم،

وسكانها ينعمون بأعلى دخل. أما ما قام به بذكاء حاد، فهي مشاريع التنمية والتعليم على أعلى مستوى. ثم نجح في تجميع الإمارات المحيطة به في دولة فيدرالية واحدة، وأطلق مبادرة إنشاء مجلس التعاون الخليجي، فكان توجهه أيضا عربيًا لكنه وحدويٌ. واكتسب احترام زعماء العالم لما أثبته من حسن إدارة وخبرة طويلة في الحكم على الأوضاع السياسية في الصراعات الدائرة. وبالمناسبة كانت له مواقف قوية في دعم مصر اقتصاديًا ومعنويًا.

وعندما نذهب اليوم إلى أبو ظبى أو دبي، نجد أنها شيدت على الطراز الغربي، بما يدل على افتقادها جزءًا من هويتها العربية، لكنها استطاعت استغلال ثروتها البترولية في التحديث السريع للدولة.

ويبقى السؤال: هل كان الشيخ شخبوط محقًا في مقاومة حركة التحديث الغربية لمحاولة الحفاظ على تراث الصحراء وتقاليد العرب وقيم الدين؟ أم كان الشيخ زايد محقًا في الإسراع بالتحديث متعاونًا مع المحتل البريطاني على حساب جزء من هوية القوم؟

قد تكون الحقيقة لدى الأخين ابنيَ آل نهيان.

maktabbah.blogspot.com

أكبر مكتبة للكتب و الروايات الحصرية
والمميزة والنادرة بصيغة PDF

تابعونا على الموقع الرسمي

www.maktabbah.blogspot.com

أو على قناة التيليجرام

t.me/alanbyawardmsr

8 - الشعب المثالي

في عام 1995 ، وبمناسبة العيد الخمسين لمنظمة الأمم المتحدة، أعلنت الأمم المتحدة بأن شعب الموسو، هو أكثر شعوب العالم مثالية، وأفضلهم في طباعه المسالمة. وهذا الشعب يتراوح تعداده بين 30 و60 ألف نسمة، ومقيم على جوانب جبال الهيمالايا في الجزء الجنوب غرب الصين. ما الذي جعل من هذا الشعب شعبًا مثاليًا ومسالمًا حتى تتفق دول العالم على هذا الإعلان الاستثنائي.

النظام الاجتماعي لشعب الموسو يختلف عن نظم سائر شعوب العالم منذ آلاف السنين، فهو شعب ليست للرجل فيه كلمة، حيث تتحكم النساء في قيادة الأسر. وهذه بعض الأنماط المتبعة عند الموسو:

• المرأة هي رب الأسرة، وهي التي تقوم بكل الأعمال.

• لا يوجد نظام للتزاوج بين الرجال والنساء.

• تسكن المرأة في بيت أمها طوال حياتها، وتتولى قيادة الأسرة بعد وفاة أمها وهكذا.

• لاستمرارية عملية الإنجاب، تقوم الفتيات بعد سن البلوغ، باستقبال أحد الشباب ليلا في غرفة خاصة بمنزل أمها، ودون أن تفرض عليه أي التزامات مادية أو اجتماعية، إذ يمكنها أن تنجب في كل مرة من رجل مختلف، ولا يحق للرجل المطالبة بالاستئثار بالفتاة، وبالتالي لا توجد أي مشاعر بالغيرة وتملّك الآخر.

• يسكن الأبناء من الذكور والإناث في بيت الأم، ولا صلة للأب بأبنائه – إلا في حالات نادرة جدًا – وقد لا يعلم في الغالب أبناءه.

• يقوم الخال (شقيق الأم) بدور الأب بمشاركة معنوية للأم في عملية تربية أبنائها.

• لا توجد أي مشاكل في الميراث ما دام ظل الميراث داخل الخلية الأثرية، وينتقل للنساء فقط، حيث تتخذ الأم الأكبر سنًا كل القرارات، كما لا يوجد انتقال للملكيات بين الأسر نتيجة الزواج.

• المرأة هي العنصر المنتج في هذا المجتمع، فهي التي تقوم بمعظم الأعمال في المنزل وخارجه، في حين أن الرجل يظل أيًا كان عمره تحت رعاية والدته، ويكتفي بمعاونتها في أعمال الزراعة إن طلبت منه ذلك. وهكذا تحول إلى أداة إنجاب فقط.

www.maktabbah.blogspot.com

• لم تنجح الصين الشيوعية في فرض نظام الطفل الأوحد لكل أسرة، حيث لا توجد أسر مكونة نتيجة الزواج مثل في باقي عائلات الصين.

مكتبة بيت الحصريات maktabbah.blogspot.com

• ديانة شعب الموسو تقترب من البوذية، والكتابة تقترب من الهيروغليفية.

مكتبة بيت الحصريات maktabbah.blogspot.com

وهكذا، لم تعرف شعوب الموسو أي حروب أو معارك أو مشاجرات طوال تاريخهم الطويل، ولا مشاعر الحقد والغيرة والسيطرة. لكن يبدو أن دخول أدوات التكنولوجيا الحديثة قد تغير مع الوقت تقاليد الموسو وطباعهم.

ولنا في هذا المثال الإنساني الغريب مادة للتفكر والتأمل يا معشر الرجال.

9 - ثورة وملوك وجمهوريات

قد لا يعلم البعض كيف قامت الثورة الفرنسية بالقضاء على الملكية وإقرار النظام الجمهوري في ربوع الدولة الفرنسية، بل وجدت البعض يقارن أحداثها بما حدث في مصر عامي 1952 و1953. لكن الفرق الكبير كان في الأسباب والأسلوب، والفارق الأهم كان في تبعات الثورة الفرنسية وتأثيرها على الحياة السياسية في فرنسا على مدى يزيد على الثمانين عامًا حتى استقرار النظام الجمهوري بها.

بدأت أحداث الثورة الفرنسية عام 1789 ، ووصلت لذروة العنف بخلع الملك لويس السادس عشر عام 1792 ، وسجنه ثم محاكمته وإعدامه بالمقصلة في يناير من عام 1793 . وقد تم إلغاء الملكية من طرف الثوار عام 1792 (بعد 18 عامًا من تربع لويس السادس عشر على العرش)، رغم محاولته تهدئة الأوضاع في العام السابق بتغيير لقبه من "ملك فرنسا" إلى "ملك الفرنسيين"..

لم يتم إعلان قيام الجمهورية الأولى، كما قد يتصور البعض، إنما انتقل الحكم خلال ثلاث مراحل من نظام ملكي إلى نظام شبه برلماني. وقد اشتهر خلال فترة البداية أحد رجال الثورة "روبس بيير"، هذا الإنسان الدموي. وقد أعدم في تلك المرحلة ما يزيد على عشرين ألفًا من الفرنسيين من كل جانب واتجاه، فسميت بفترة "الرعب"، وامتزجت بالحروب الأهلية بين مؤيدي الثورة ومؤيدي الملكية والكنيسة، وانتهت بإقصاء روبيس بيير ذاته وإعدامه عام 1795 ، ثم جاءت فترة سيطرة "الديريكتوار" أي مجلس إدارة الدولة ثم تلتها فترة القنصلية. لذلك، اعتبر المؤرخون أن تلك المرحلة، من لحظة سقوط الملكية إلى إعلان قيام إمبراطورية فرنسا بزعامة نابليون عام 1804 ، نحو اثني عشر عاما، هي بمثابة قيام الجمهورية

الأولى ثم سقوطها، رغم أنه لم يعلن رسميًا عن قيامها في أي وقت.

قبل قيام الإمبراطورية، كان نابليون هو الحاكم الفعلي بلقب "القنصل الأول" نتيجة لما أنجزه من انتصارات عسكرية رغم صغر سنه، بفضل عبقريته الخارقة في الفنون الحربية. لكنه كان يتطلع لمزيد من السلطات للسيطرة على البلاد وتنميتها، فأعلن قيام الإمبراطورية، ونصب نفسه إمبراطورًا... حكم الإمبراطور نابليون الأول فرنسا لمدة عشر سنوات، قام خلالها بتحديث التعليم والصناعة والزراعة والقوانين الوضعية والتقاليد الدبلوماسية. هذا، إلى جانب توسيع الرقعة الجغرافية الفرنسية من خلال انتصاراته في عدة حروب أوربية. ومع ذلك، تم عزله عام 1814، خصوصًا بعد خسارة حربه في روسيا، وتم إعادة النظام الملكي بتنصيب الملك لويس الثامن عشر ملكا على الفرنسيين.

استطاع مؤيدو نابليون إعادته إلى الحكم في العام التالي، لكنه لم يمكث إلا مائة يوم به، حتى هزم في معركة "واترلوو" الشهيرة ببلجيكا أمام الجيش البريطاني والهولندي والألماني والبروسي. ثم تم نفيه حتى وفاته، وعاد الملك لويس الـ 18 لعرش فرنسا مرة أخرى في 1815 ، وظل متربعًا حتى عام 1824.

استمرت الملكية في حكم فرنسا بعد ذلك، فتولى الملك شارل العاشر الحكم من 1824 إلى 1830 ، وكان أشهر أعماله الخارجية، الاشتراك في هزيمة أسطول محمد علي في موقعة نفارين باليونان عام 1827 ، ثم احتلال الجزائر عام 1830 . تلاه في السلطة الملك "لويس فيليب" وظل على العرش حتى عام 18) ،1848 سنة). لكن كانت السنوات الأخيرة من حكمه متسمة بانتشار الفقر والفساد في أروقة الحكم. فظهرت بشائر ثورة جديدة بتذمر الأهالي من الغلاء وجشع التجار وفساد السلطات. هرب الملك لويس فيليب إلى إنجلترا متنازلا عن العرش، فانعقدت الاجتماعات البرلمانية لتشجيع قيام الجمهورية مرة أخرى، مع عمل تعديلات دستورية مهمة، ومع توسيع القاعدة

الانتخابية لزيادة عدد الناخبين باشراك الفئات الاجتماعية المهمشة.

ترشح لمنصب رئيس الجمهورية الثانية الأمير لويس نابليون بونابرت، ابن شقيق نابليون الأول، وتم انتخابه رئيسا للجمهورية انتخابًا مباشرًا من الشعب الفرنسي عام 1848 . ولكن النظام الدستوري الجديد منعه من إعادة الترشح مرة ثانية، فانقلب على الدستور وأعاد تأسيس الإمبراطورية الفرنسية تحت مسمى الإمبراطورية الثانية، واتخذ لنفسه لقبًا: الإمبراطور نابليون الثالث. وبذلك، لم تستمر الجمهورية الثانية إلا أربع سنوات وبضعة أشهر، ولم يكن لها إلا رئيس واحد. وظل حاكمًا لفرنسا بهذه الصفة الإمبراطورية من 1852 حتى 1870 (أي 18 عامًا أيضًا).

خسر نابليون الثالث حربه ضد بروسيا عام 1870 مما أدى لسقوط الإمبراطورية الفرنسية الثانية، وقيام الجمهورية الثالثة. وبذلك بدأ النظام الجمهوري يستقر في فرنسا لأول مرة بعد الثورة الفرنسية، رغم أن هذه الجمهورية الثالثة، وكذلك الرابعة التي قامت بعد الحرب العالمية، لم تأخذ بالنظام الانتخابي المباشر لرئيس الجمهورية، حتى جاء شارل ديجول عام 1958 ، وأسس الجمهورية الخامسة بدستور متميز وبنظام انتخابي مباشر لرئيس الجمهورية مع إعطائه السلطات اللازمة لحكم البلاد.

وختامًا، لا أعتقد أن إنجاز الثورة الفرنسية كان إقصاء الملك أو إلغاء الملكية وإرساء الجمهورية.

لكن يقيني أن إنجازها الأول، ومنذ يومها الأول، وبالتحديد يوم 26 أغسطس عام 1789 ، كان "إعلان حقوق الإنسان والمواطن"، هذا الإعلان الذي تبنته كل الأمم المتحضرة، فصار فيما بعد "الإعلان العالمي لحقوق الإنسان" الذي تبنته الأمم المتحدة في العاشر من ديسمبر عام 1948 فعلا الثورة التي لا تترك تأثيرًا على تطور الفكر والعقل، تصبح مجرد هوجة، لا أثر لها في التاريخ.

مكتبة بيت الحصريات
maktabbah.blogspot.com

10 - موسى زُمارة

مكتبة بيت الحصريات
maktabbah.blogspot.com

إنه آخر المماليك من الحرس الإمبراطوري لنابليون بونابرت. ولد بمدينة عكا بفلسطين عام 1791 ، وتوفي ودفن بمدينة لافور بفرنسا عام 1873.

اسمه الأصلي موسى الكوسة، لكنه سُميَ موسى زُمارة، عندما انضم لجيش بونابرت، وتولى في البداية مهمة النفخ في النفير لإخطار قادة الفرق بأوامر نابليون الحربية أثناء المعارك، فأطلق عليه زملاؤه من المماليك لقب "زُمارة"، ثم تمت تسميته بالسجلات الفرنسية بهذا اللقب ليكون اسمه الدائم (Moïse ZUMERO).

بعد وفاة أسرته في يافا بفلسطين، وقت هجوم حملة نابليون عليها، هرب وهو طفل في الثامنة من عمره إلى مصر، حيث كان يعمل والده محصلا بجمارك ميناء بولاق. وعندئذ، ولانبهاره بقوة الجيش الفرنسي بالمقارنة بالجيش العثماني، طلب موسى الانضمام لقوات نابليون مع مجموعة المماليك التي انضمت، وبعد عدة محاولات، تم بالفعل تجنيده وهو في الثامنة ليبدأ تدريباته العسكرية. ثم رحل مع القوات الفرنسية عن مصر وهو في الحادية عشرة من العمر، ثم تتثبيته ضمن قوات فرقة المماليك بالجيش الفرنسي.

عطف نابليون على موسى وعينه بالحرس الخاص مع تكليفه بمهمة النفير في البداية، ثم وصل إلى تولى قيادة قوات الحرس عندما احتدمت المعارك العسكرية. أسهم وأبلى بلاءً حسنًا في معارك نابليون الكبرى، خاصة في روسيا وإسبانيا وأخيرا في معركة واترلوو الشهيرة ضد إنجلترا. وكان موسى قد فقد أصابع قدميه من تأثير برودة الجو في سهول روسيا المثلجة، لكنه لم يتوقف عن القتال بشراسة. كما أنه أصيب عدة مرات في مختلف المعارك. وكان

نابليون منبهرا بشجاعة كل فرق المماليك التي رافقته، فشكل منها حرسه الخاص، واحتفظوا بملبسهم المصري الملون حتى في استعراضات القوات المسلحة في باريس أثناء الاحتفالات الوطنية.

ظل موسى الكوسة مرافقا للإمبراطور نابليون في كل تحركاته حتى النهاية. وبعد خلع نابليون، استقر موسى في مدينة لافور بمقاطعة التارن، حيث تزوج وأنجب ابنًا وابنة، وعمل بها بعد ترك الخدمة العسكرية مديرًا لمكتب البريد.

وقد عاش موسى زُمارة متألمًا تحت وطأة التفرقة العنصرية الفرنسية، ولم يحصل على نيشانه العسكري وجوقة الشرف إلا عام 1854 . أما والده الذي حاول أيضا الحصول على الجنسية الفرنسية بعد مغادرته مصر مع ابنه، فقد ظل مقيمًا بفرنسا كلاجئ مصري بلا أي حقوق اجتماعية. وقبل وفاته، قال موسى مبررًا ارتباطه بفرنسا: "لكل إنسان وطنان، وطن مولده وفرنسا".

maktabbah.blogspot.com

أكبر مكتبة للكتب و الروايات الحصرية
والمميزة والنادرة بصيغة PDF

تابعونا على الموقع الرسمي

www.maktabbah.blogspot.com

أو على قناة التيليجرام

t.me/alanbyawardmsr

11 - مماليك نابليون

بمناسبة المقال عن "موسى زُمارة"، آخر مماليك الحرس الإمبراطوري الفرنسي في عهد نابليون، جاءتني بعض الأسئلة والتساؤلات عن قصة هؤلاء المماليك الذين جلبهم نابليون من مصر بعد حملته عليها. لذلك رأيت إطلاع القارئ على بعض المعلومات التاريخية التي تحيط بتلك الواقعة.

منذ الحروب الصليبية، ظلت صورة المماليك في ذهن الأوربيين الذين أخرجوا من فلسطين، أن هؤلاء المماليك هم قوم من العبيد الذين صاروا ملوكًا على أراضي الإمبراطورية العثمانية، والتي بدأ تفتتها منذ القرن الثامن عشر، خاصة فيما يخص سيطرتهم على مصر. وإبان وصول جيوش نابليون، كانت الهيمنة في مصر لكل من مراد بك وإبراهيم بك، اللذين اقتسما حكم البلاد، ارتكازا على نحو عشرة آلاف من فرسان المماليك، الذين برعوا في مختلف المعارك الداخلية والخارجية

لما كان معظم المماليك في هذا العصر من أصول شركسية تم شراؤهم أطفالا، وتدريبهم عسكريا في بيوت أمراء المماليك، كانت لديهم عقيدة غريبة؛ إذ يذهب الفارس المملوكي إلى المعركة وهو يلبس أفخم الملابس الملونة والحلي والأحجار الكريمة، التي تمثل كل ثروة الفارس في الحياة، حتى تكون شجاعته وإقدامه في المعركة مبرّرين بالدفاع عن كل ما يملكه في الحياة، فلا تكون الجروح والإصابات عائقًا لاستكمال القتال. كذلك برع الفارس المملوكي في استخدام سلاح السيف العثماني المقوس بالغ الحدة.

عندما حاولت قوات المماليك صد الهجوم الفرنسي في معركة شبراخيت ثم معركة إمبابة، انبهر نابليون بإقدام ورعونة فرسان المماليك التي كانت تهاجم القوات الفرنسية الحديثة لقتال مدافعهم

www.maktabbah.blogspot.com
بحد السيف، كما أعجب بمظهرهم الملون وببراعتهم في ركوب الخيل العربية الرائعة. لتلك الاعتبارات، وبعد نهاية المعارك، عندما تقدم الشيخ البكري بهدية لنابليون عبارة عن حارسه الشخصي المملوكي "رازا رستم"، قبل نابليون هذا العبد القوقازي وعينه فورا حارسا شخصيًا له، وظل ملازما لنابليون، ينام خلف باب غرفته طوال حياته الإمبراطورية. وأصبح لقب رستم "مملوك نابليون". وفي وقت لاحق في فرنسا، أراد نابليون أن يكون لديه حارسان شخصيان، فعين أحد أفراد خدمة الخيالة الفرنسيين واسمه "لويس سان دونيه"، وألبسه لباسا مملوكيًا، وسماه "علي"، فصار مملوك نابليون الثاني.

www.maktabbah.blogspot.com

في سبتمبر 1799 ، وبعد مغادرة نابليون مصر، قام خليفته كليبر، بتشكيل فرقة عسكرية قوامها 300 جندي، مشكلة من جنود من الشراكسة والعثمانيين والمماليك، وقام بإعطاء اسم لهذه الفرقة "مماليك الجمهورية". وعند مغادرة الجيش الفرنسي مصر عام 1801 ، ونظرًا لانخراط تلك الفرقة في خدمة الجيش الفرنسي، اضطر أعضاؤها لمغادرة مصر مع الفرنسيين، خوفًا من انتقام المصريين لخيانتهم. وكان انخراطهم في المجتمع الفرنسي صعبًا أيضا، حيث كانوا من السادة في مصر وأصبحوا هناك من الرعايا الأجانب.

www.maktabbah.blogspot.com

في 13 أكتوبر 1801 ، أمر نابليون بتشكيل فيلق عسكري من فرسان المماليك، فتم تشكيله بقيادة الجنرال "راب" مكونًا من 13 ضابطًا و155 جنديًا فارسًا. وأصبح هذا الفيلق هو أساس الحرس الإمبراطوري (شبيه بالحرس الجمهوري)، واشترك في عدة معارك في ألمانيا وروسيا وإسبانيا، ومع انخفاض عدد المماليك نتيجة للإصابات في المعارك، بدأ نابليون بتعيين فرنسيين تعويضًا للأعداد المفقودة في المعارك، مع إلباسهم ملابس المماليك التي كان يتبارك بها الإمبراطور نابليون بونابرت. لذلك، وبعد 1809 ، زاد عدد الفيلق المملوكي إلى 583 جنديًا، منهم 374 جنديًا مملوكيًا من أصل فرنسي.

يذكر أن جيش المماليك كان يلبس العمامة ويتوسطها أعلى الجبهة الهلال الإسلامي الذي يتوسطه النسر الإمبراطوري الفرنسي. وبعد الانتصار في معركة "أوسترليتز" عام 1807 ، ونظرا لبطولات فرقة المماليك بتلك المعركة، تم تسليمها علمًا خاصًا بها عام 1813، فكانت أول فرقة عسكرية تحمل العلم المكون من الثلاثة تقسيمات الرأسية بالثلاثة ألوان المعروفة للعلم الفرنسي الحالي، الذي لم يصبح علمًا رسميًا لفرنسا إلا سنة .1830

من المماليك الذين اشتهروا في الفيلق المملوكي ببطولتهم، الضابط "عبد الله داسبون" والضابط "شاهين"، وهما ممن غادروا مصر مع الحملة، أما باقي المماليك، فالمعروف أنه تم اضطهادهم بعد خلع نابليون وعودة الملكية عام 1815 ، فقد تم جمعهم وتركيزهم في مدينتي ميولان ومارسيليا كلاجئين مصريين، ثم أمر الملك لويس الثامن عشر بنفيهم في جزيرة سانت مارجريت، الواقعة بالبحر المتوسط، بل حبسهم أيضا. وفي عام 1817 استطاع نحو خمسين من هؤلاء المماليك الهرب بباخرة واتجهوا عائدين إلى مصر. وعند وصولهم، أمر محمد علي باعتقال وإعدام أيٍّ من هؤلاء المماليك إن دخل إلى لبلاد، نظرا لاعتبارهم من الخائنين لمصر، وفي الحقيقة كان ذلك لإرضاء الملك الفرنسي.

اضطرت تلك المجموعة الهاربة من الاضطهاد الفرنسي للعودة إلى مارسيليا بفرنسا، ليعيشوا بها حياة بائسة، حيث حصلوا بعد فترة على مقابل ضئيل كمعاش لخدمتهم بالجيش الفرنسي. كما استطاع قلة من هؤلاء الانضمام مرة أخرى للجيش الفرنسي، لكن للقيام بأعمال الترجمة وقت بدء احتلال الجزائر.

هذه هي قصة مماليك نابليون، من عبيد إلى مرتزقة إلى أسياد إلى مرتزقة مرة أخرى، كديكور يتناسب مع عظمة إمبراطور شاب، إلى بؤساء مهاجرين بلا وطن.

12 - برناردينو دروفيتي

مكتبة بيت الحصريات
maktabbah.blogspot.com

سبقت لي الكتابة عن دور ماتيو ديليسبس (مبين بنهاية المقال) في ترشيح محمد علي لتولى دور الوالي على مصر، ودعمه لدى السلطان العثماني عن طريق الحكومة الفرنسية، ثم دعم حكمه لتحديث وتقوية الدولة المصرية تحت قيادته، في مواجهة الباب العالي

وللكشف عن بعض الخيوط الإضافية في لعبة النفوذ السياسية، التي مورست في مصر مع محمد علي باشا، من المفيد الإشارة إلى تقرير تاريخي مهم جدًا صدر عام 1818 من الشرطة السياسية النمساوية، حيث يكشف هذا التقرير عن اللعبة السياسية السرية التي مارسها ماتيو ديليسبس، ومساعده المسمى "دروفيتي" من خلال تنظيم سري اسمه "الجمعية السرية المصرية" (Société Secrète Egyptienne) التي لم تكن إلا رافدا رئيسيًا من روافد الماسونية العالمية في ذلك الوقت تحت إدارة المدعو "دروفيتي".

من المعلوم أن ماتيو ديليسبس – الماسوني – كان يدير "لودج" ماسونيًا في جزيرة "كورفو" اليونانية (اللودج هو اسم الوحدة المحلية في التنظيم الماسوني) حيث كان مساعده "برناردينو دروفيتي" من أصل إيطالي من أنشط مساعديه، فكانت سياستهما العمل على استقلال اليونان عن الإمبراطورية العثمانية.

www.maktabbah.blogspot.com

التقرير النمساوي يتحدث بإسهاب عن شخصية دروفيتي، الذي ظهر لأول مرة على السطح أثناء حروب نابليون في إيطاليا في أواخر القرن الثامن عشر، فتعاون مع القوات الفرنسية حتى حصل على ثقة بونابرت، ووثق علاقته بالجنرال "ميورا" القائد الفرنسي.

وفى عام 1803 ، أرسل نابليون إلى مصر ماتيو ديليسبس ومعه كمساعد "دروفيتي" في مهمة سرية لاختيار القائد العسكري الذي

سيتعاون مع فرنسا ويستقل عن الدولة العثمانية، وبعد ترشيح محمد علي، عاد ماتيو ديليسبس إلى فرنسا تاركا "دروفيتي" في مصر لإدارة القنصلية الفرنسية ومتابعة تنفيذ سياسة بونابرت. وظل يقوم بعمل القنصل العام حتى عام 1814.

عند سقوط الإمبراطورية الفرنسية، وزوال حكم بونابرت وعودة الملكية مع لويس الثامن عشر لحكم فرنسا، فقد "دروفيتي" وظيفته الرسمية، لكنه ظل مقيمًا في مصر، ثم استعاد مهمته الرسمية كقنصل فرنسا عام 1821 ، ولم يغادر مصر قبل 1829 . وعند عودته لفرنسا، عمل خبيرًا دوليًا في مختلف المجالات (زراعة، طب، آثار، دبلوماسية... إلخ)، وظل يتحرك في مختلف العواصم الأوربية حتى وفاته في إيطاليا عام 1852.

احتفظ "دروفيتي" بعلاقاته المتميزة مع محمد علي منذ أن تولى الحكم بمعاونته هو وماتيو ديليسبس، وبدأ في إنشاء تنظيمات سرية ماسونية بدعوى دعم حكم محمد علي. وهذا ما يفسر، وفقا لتقرير الشرطة النمساوية، بقاءه في مصر رغم فقدانه صفته القنصلية عام 1818 . وقد تبنى محمد علي سياسة حماية التنظيمات الماسونية، معتقدا أنها تعمل لصالح دعم حكمه، (واستمرت هذه الحماية حتى 1952 ، وفقا للتقارير الماسونية).

www.maktabbah.blogspot.com

قام دروفيتي بتأسيس اللودج الماسوني بالقاهرة واللودج الماسوني بالإسكندرية. وكانت للودج الإسكندرية أهمية أكبر من لودج القاهرة في عصر محمد علي. وكان الهدف السياسي المعلن من هذه التنظيمات الماسونية هو دعم استقلال الشعوب في مصر وإيطاليا واليونان في مواجهة الاحتلال التركي، الذي كان على صلة طيبة بالإمبراطورية النمساوية. وقد استطاع دروفيتي ضم العديد من رجال القصر وأعوان محمد علي إلى هذه الجمعية السرية المصرية.

بعد سقوط إمبراطورية نابليون في فرنسا، حاولت إنجلترا ملء

الفراغ في بلاد البحر الأبيض المتوسط، وادعاء الدفاع عن حقهم في الاستقلال. وقد حدث بالفعل بعد 1815 ، أن احتلت إنجلترا الجزر الأيونية اليونانية بدلا من فرنسا، التي كانت تدير تلك الجزر غرب اليونان بمعرفة رجال الماسونية وعلى رأسهم ماتيو ديليسبس (في كورفو)، الذي كان يتميز بانتمائه لأكثر من لودج ماسوني دون مراعاة للتناقضات بينها.

كان ماتيو ديليسبس مشهورا بانتمائه الشديد للماسونية ولبونابرت في نفس الوقت، حتى إنه أنشأ "لودجا" سمَّاه لودج نابليون، معتبرا أن الماسونية من أصول كهنوتية مصرية تعود لعصر قدماء المصريين، حيث عبر عن ذلك في جملة دخلت التاريخ الماسوني ("C'eSt aux prêtres égyptiens que je fais remonter la Franc-Maçonnerie, quoiqu'ils n'en soient pas les inventeurs). et que sa véritable origine se perde dans la nuit des temps") ويقصد بها أن الماسونية تواجدت منذ عصر الكهنة المصريين، حتى وإن لم يخترعوها، فقد تعود أصولها إلى أزمنة سحيقة.

www.maktabbah.blogspot.com

❞ وقد عين قائدًا عظيمًا في منظمة "فرسان الدفاع عن الماسونية العالمية" (Commandeur de l'Ordre des Chevaliers Défenseurs de la Franc-Maçonnerie Universelle)، وهي منظمة تتبع شعائر وطقوس "مصراحيم - ممفيس" ذات الجذور العبرية والمصرية.
ويقول أحد أحفاد ديليسبس "ألكس ديليسبس" التابع لنفس المنظمة، إن ماتيو كان مكلفًا سريًا من قبل نابليون باختيار حاكم مصر لتكوين دولة تقوى على مواجهة الدولة العثمانية وإنجلترا.

ينتهي التقرير النمساوي إلى أن العمل كان منسقا بين ديليسبس في الجزر اليونانية، ودروفيتي في مصر لتقوية السيطرة الماسونية على شرق البحر المتوسط، وإن بداية هذا التوجه ظهرت مع الحملة الفرنسية في مصر ودور نابليون، مع إعطاء صبغة فرعونية للأعمال الماسونية، نتيجة لإعادة اكتشاف تلك الحضارة المصرية. ومع

سقوط نابليون، تحول دروفيتي إلى خدمة من سمّاه "نابليون الشرق"، وهو محمد علي، بأمل إبقاء الوجود الفرنسي على الأرض المصرية.

مكتبة بيت الحصريات
maktabbah.blogspot.com

مقال سبق نشره عن ماتيو

هذا الشخص المدعو ماتيو، شخصية فرنسية فريدة كان له دور مهم وخطير في تاريخ مصر الحديث.

بعد الحملة الفرنسية على مصر في بداية القرن التاسع عشر، خاصة بعد فشلها وانسحاب جيشها من الأراضى المصرية، استقدم نابليون بونابرت السيد "ماتيو"، وكلفه بمهمة رسمية في مصر، ومهمة أخرى سرية. أما المهمة الرسمية، فكانت تعيينه يوم 7 مارس عام 1803 مفتشًا عامًا على الشئون الفرنسية في مصر ومندوبًا للشئون التجارية في دمياط، وبهذه الصفة أصبح أول ممثل رسمي للحكومة الفرنسية قبل عصر القناصل والسفراء.

www.maktabbah.blogspot.com

لكن نابليون القائد الإستراتيجي الملهم، كان في ذهنه تكليف "ماتيو" بمهمة أكبر وأكثر خطورة، لكنها اتخذت صفة السرية حتى لا يدرك الإنجليز خططه الخاصة بمصر.

لم يرضخ نابليون لهزيمة أسطوله في أبوقير على يد الأميرال الإنجليزي نيلسون، ولم يقبل تسليم زمام الأمور في مصر لتعود بيد القوات العثمانية أرضًا أو القوات الإنجليزية بحرًا. ولم تكن مصر إلا دولة تعيش في العصور الوسطى يتنازعها أشلاء المماليك المتحاربة فيما بينهم، من جانب وبعض القوات العثمانية التابعة لدولة الخلافة الضعيفة والمنهكة من جانب آخر. ومع انبهار نابليون بالحضارة المصرية القديمة التي اكتشفها عند قدومه مع حملته لمصر، زادت قناعته بأن مصر أحق من تركيا في تولي ريادة الخلافة الإسلامية، بما يستلزم نقل عاصمة الخلافة من إستانبول إلى القاهرة.

ولتنفيذ تلك الخطة، قام نابليون بتكليف السيد "ماتيو" بالوجود

رسميًا في مصر، والعمل سرًا على استكشاف شخصية قائد عسكري يصلح أن يكون زعيما ورئيسا للمصريين، وفي ذات الوقت تكون علاقته بفرنسا متميزة، بحيث تضمن تبعية مصر للسياسات الفرنسية وليس الإنجليزية. وبالطبع، كان من الضروري عند اختيار مثل هذا القائد إقناعه بالخطة الفرنسية بالكامل، مع تقديم كل سبل المعاونة العسكرية والمدنية، ومختلف سبل الدعم السياسي، حتى ينجح في مهمة قيادة مصر وتحويلها إلى عاصمة للخلافة الإسلامية. ومن الواضح بالطبع أن غرض نابليون الأساسي لم يكن دعم مصر لتكون دولة عظمى على حساب تركيا، إنما لتكون دولة خاضعة لفرنسا على حساب بريطانيا ونفوذها في الشرق. نجح السيد "ماتيو" بجدارة في مهمته السرية. فقد اقترب من التنظيمات الشعبية والوطنية التي كان يسيطر عليها شيوخ الأزهر، المتحدث باللغة العربية الفصحى، حتى إنه أوجد صلة صداقة حميمة مع بعضهم مثل "عمر مكرم". ومن جانب آخر، وقع اختياره على قائد من قوات الأرناؤوط التابعة للجيش العثماني، واستشف فيه المواصفات اللازمة ليكون زعيما لمصر في المستقبل القريب، فاختار محمد علي، وقام بتقديمه لشيوخ الأزهر، موضحا أنه سيكون الوحيد القادر على التخلص من المماليك داخليا، وصد الهجمات الخارجية، سواء من الأتراك أو الإنجليز. وقد تقبله قادة الحركة الوطنية المصرية بصفته مسلمًا، وله صفات القيادة العسكرية، وحاصلا على ثقة الحكومة الفرنسية. وللتذكرة، نجح محمد علي في التخلص من المماليك كما نجح في صد حملة فريزر البريطانية.

وعلى التوازي مع هذا التحرك الداخلي، أخطر "ماتيو" نابليون باختياره، فوجهه إلى ضرورة قيام فرنسا بدعمه رسميًا لدى السلطان العثماني. لذلك، قام "ماتيو" بمخاطبة وزارة خارجية فرنسا لتقوم بإعداد السلطات التركية عن طريق سلطاتها الدبلوماسية في إستانبول. وبالفعل، قام القنصل العام الفرنسي في تركيا السيد "سيباستياني" بإقناع السلطان العثماني بضرورة تعيين محمد علي

كوالٍ على مصر، لأنه الوحيد القادر على وقف الفوضى العارمة في البلاد، وإعادة التحكم في شئونها الداخلية وصد هجمات الإنجليز التي تهدف إلى احتلال مصر. وجدت منذ تلك اللحظة علاقة حميمة بين السيد "ماتيو" ومحمد علي، الذي اعتبر أن ماتيو ولي نعمته. وبعد أن تأكد ماتيو من تحقيق مآربه، ترك مهمته الرسمية في مصر في بداية عام 1805 ، وقام السلطان العثماني بالتوقيع على مرسوم تعيين محمد على بعد ذلك بشهور قليلة. ومن جانبه، تدرج السيد "ماتيو" في مختلف المهام الدبلوماسية في مختلف البلاد، حتى انتهت به الحال في وظيفة قنصل عام في تونس حيث توفي عام 1827.

ولكن، نظرا لدعم فرنسا المستمر لمحمد علي منذ مهمة ماتيو هذه في مصر، سواء بإرسال البعثات العلمية والمستشارين من أمثال "سليمان باشا" و"موجيل" و"كلوت بك" و"لينان بك" الذين قاموا، كل في مجاله، بالعمل على بناء مصر الحديثة، فقد احتفظ محمد علي بعلاقة وطيدة وحميمة مع "ولي نعمته" الفرنسي السيد ماتيو، حتى بعد وفاته، طلب محمد علي تعيين ابن ماتيو في عمل قنصلي في مصر، وفاء لهذا الصديق الذي جعل منه واليًا على مصر.

www.maktabbah.blogspot.com

وهكذا جاء إلى مصر لأول مرة ابن السيد "ماتيو ديليسبس". وهذا الابن هو السيد "فرديناند ديليسبس". جاء للعمل نائبًا لقنصل فرنسا بالإسكندرية، ففتح له محمد علي أبواب قصوره، بل كلفه بمهام شخصية، كان أشهرها تدريب ابنه "محمد سعيد" على ركوب الخيل بهدف تخفيض وزنه الزائد. ومن هنا، بدأت العلاقة الحميمة بين الابنين، ونشأ منها بعد ذلك بسنوات فرمان شق قناة السويس الموقع من سعيد باشا لديليسبس. وكما قلت شخصيا لحفيد ديليسبس: إن دور جدك الأكبر ماتيو كان أهم تاريخيًا في مصر من دور ابنه فرديناند. فمشروع قناة السويس بدأه نابليون، ومشروع مصر الحديثة كذلك.

13 - اليسار واليمين

مكتبة بيت الحضريات
maktabbah.blogspot.com

في عالم السياسة كثيرا ما يستخدم وصف اليسار واليمين دون معرفة مصدر هذا التقسيم بين جماعات سياسية متباينة. لكن في الواقع، نجد أن هذا التقسيم نابع مثل كثير من المصطلحات السياسية الحديثة، من أحداث الثورة الفرنسية. ففي يوم 11 سبتمبر من عام 1789 ، اجتمع نواب الجمعية التأسيسية للتصويت على إعطاء الملك لويس السادس عشر حق الفيتو، فوقف على يمين رئيس الجمعية النواب المؤيدون للملكية للمطالبة بأن يكون حق الفيتو الملكي مطلقًا، بما يسمح له برفض أي قانون لا يراه مناسبا. أما المعارضون لهذا الحق المطلق، فوقفوا على يسار الرئيس مطالبين بأن يكون حق الفيتو محدودًا بتعليق القوانين وطلب مراجعتها. (وقد كسب هؤلاء المعارضون تلك الجولة). ومنذ هذا اليوم، جرت أحداث الثورة الفرنسية على نفس النمط. وعندما اجتمع النواب في الأيام التالية بقصر التويلري، فقد جلس من اعتبر نفسه من الطبقة الأشرف الأرستقراطية والمعارض لتوجهات الثورة، في الجانب الأيمن من القاعة، أما من كان مؤيدًا للثورة ومبادئها، معتبرًا نفسه وطنيًا دون سواه، فقد التزم بالجانب الأيسر من رئيس الجلسة المتوسط للقاعة. ومن هذا التاريخ، انتشر هذا المسمى في كل بلاد العالم، وبدأ التقسيم بين السياسة الثورية أو التقدمية وبين السياسة المحافظة بوصف اليسار واليمين. وصار كل شخص يُنعت باليساري، إن كانت توجهاته تقدمية أو إصلاحية، ويميني إن كانت توجهاته محافظة أو تقليدية. أما من رقصوا على السلم وترددوا في توضيح توجهاتهم، فاخترعوا لنفسهم وصف "الوسط".

أما في مجلسنا النيابي الحالي في مصر، ومع احترامي لكل النواب، فلم أجد وصفًا ملائمًا لتقسيم التوجهات السياسية للنواب.

14 - عن مولد البنوك المركزية

www.maktabbah.blogspot.com

من المعروف أن أول بنك مركزي تم إنشاؤه في العالم هو البنك المركزي السويدي في عام 1656 ، حتى إن كان لم يحمل تسمية "مركزي"، ثم تلاه عام 1698 بنك إنجلترا، ثم بنك فرنسا في عام 1800. حتى عام 1900 ، لم يكن بالعالم سوى 18 دولة مزودة ببنك مركزي (يوجد اليوم 172 بنكًا مركزيًا تخدم نحو 200 دولة). في بداية الأمر، لم يتم إنشاء البنوك المركزية بنفس الهدف ولتأدية نفس المهام، لكنها أصبحت اليوم تعمل كلها في نفس الإطار لخدمة نفس الأغراض المالية للدول. ولقد جاء تطوير دورها التنظيمي بعد إنشاء بنك فرنسا (المركزي)، وفيما يلي نبذة توضيحية لتاريخ هذا البنك:

www.maktabbah.blogspot.com

في يناير من عام 1800 ، قام نابليون بونابرت بإصدار فرمان بإنشاء "بنك فرنسا" بناء على توصيات من رجل مال سويسري الجنسية. ففي السنوات التي تلت الثورة الفرنسية، ظهرت أولى محاولات لإصدار عملات ورقية، لكن تسببت الأحداث في فقدان قيمتها، مما أفقد ثقة عملاء البنوك، فعادوا للتعامل بالعملات الذهبية والفضية، وقد أحدث ذلك تدهورًا في العملات الورقية المتداولة، مما دفع نابليون في تقبل فكرة إنشاء بنك مركزي للدولة الفرنسية، تكون مهمته إصدار العملات الورقية بما قيمتها كميات الذهب والفضة المودعة لديه، وبضمان حكومي للمودع سواء من البنوك أو الأفراد، وبحيث يكون لأي فرد حائز على عملة ورقية الحق في سحب قيمة هذه العملة من ذهب من خزينة البنك المركزي. وقد نتجت عن ذلك استعادة الثقة في العملة الورقية، وأصبح استبدالها بالمعادن النفيسة بلا فائدة. علما بأن أول عملة ورقية كانت مطبوعة بالحبر الأسود على ورقة بيضاء، وعلى وجه واحد فقط من الورقة.

بدأ البنك المركزي الفرنسي نشاطه بمواجهة طلبات استعادة الذهب،

www.maktabbah.blogspot.com

فتأسس برأس مال مكون من إيداعات البنوك المختلفة، بالإضافة إلى ودائع بونابرت نفسه، حتى وصل حجم رأس ماله (فى ذلك الوقت) إلى 30 مليون فرنك. وحيث إن بنك فرنسا ليس بنكًا عاديًا، وحيث إنه الجهة الوحيدة التي يحق لها إصدار عملات، (حتى عام 1912 كان عدد البنوك الأمريكية التي لها حق إصدار العملات 7355 بنكا)، فعملاؤه هم البنوك التجارية العادية المتخصصة في إقراض الأفراد والشركات. ولما كان المقترض من تلك البنوك يوقع على أوراق مالية مثل الكمبيالات لصالح البنك المقرض، تقوم تلك البنوك بتسليمها للبنك المركزي مقابل عملات رسمية، فيصبح هذا التداول وهذه الدورة المالية، محركا اقتصاديا لزيادة حجم الأموال المتداولة في السوق، فيزيد ثراء التجار والأفراد. وبهذا الأسلوب، وبعد الانهيار الاقتصادي الناتج عن الثورة الفرنسية، استيقظ الفرنسيون وعادوا إلى أعمالهم وأنشطتهم، فازدهرت التجارة والصناعة نتيجة قيام البنوك بإقراضهم. كما نتجت عن ثراء العديد من الفرنسيين زيادة حصيلة الضرائب الحكومية، فازدهرت إمبراطورية نابليون وتأسست دولته الحديثة. ظل البنك المركزي الفرنسي منذ ذلك الوقت يقوم بدور محوري في التنمية الاقتصادية لفرنسا، حتى تاريخ 12 مايو عام 1998 ، تاريخ تنازل البنك عن حقه في إصدار العملات لصالح البنك المركزي الأوربي الذي صار يصدر عملة "اليورو". من المهم أيضا توضيح أن البنك المركزي الفرنسي كان مركزه القانوني حتى عام 1945 يتلخص في أنه شركة مساهمة خاصة، يملك أسهمها نحو 200 عائلة فرنسية، إلى أن تم تأميمه عند انتهاء الحرب العالمية على يد الجنرال شارل ديجول. أما الآن، فتتحول كل البنوك المركزية في العالم تدريجيا إلى مركز قانوني خاص له شخصية اعتبارية مستقلة عن الحكومات وعن القطاع الخاص، حتى تستطيع كغيرها المنافسة في السوق العالمي، فيبقى السؤال: هل سيكون ذلك أفضل للاقتصاد الوطني لمختلف الدول؟ أم إن العولمة ستطغى علينا جميعا لصالح القوى المهيمنة؟

15 - حروب محورية

يقول لي بعضهم: "كفاكم النظر إلى الماضي، واكتفوا بالتركيز على الحاضر". فأرد على تلك المقولة بأن الغوص في دهاليز التاريخ ينير طريق الحاضر لرؤية وفهم وتوقع المستقبل. ويتضح ذلك عندما نقوم بإلقاء نظرة سريعة على تاريخ الحروب الأوربية في العصر الحديث. فقد لا يعلم الكثيرون أن الحرب العالمية الثانية، التي لا يزال العالم يعيش تبعاتها، ما هي إلا إحدى حلقات الحروب الأوربية، الممتدة عبر القرون بين دول وملكيات وإمبراطوريات حاولت الهيمنة على حكم أوربا، مستهدفة الهيمنة على العالم. وكانت بعض تلك الحروب محورية وأساسية في رسم خريطة أوربا في السنوات والعقود التالية.

ودون الرجوع إلى القرون الوسطى، فإن نظرنا إلى المحرك الرئيسي وراء دفع ألمانيا إلى اتخاذ مسار التوجهات النازية خلف هتلر منذ عام 1933 ، نجدها مدفوعة بالرغبة في الانتقام والتخلص من مهانة اضطرارها لقبول الشروط المجحفة لنتائج الحرب العالمية الأولى، التي انتهت بتسليمها بالهزيمة. ثم إن بحثنا عن أسباب قيام الحرب العالمية الأولى سنة 1914 ، نجدها – ورغم بداياتها بحروب البلقان ومملكة الصرب – فإنها اتسعت لتشمل روسيا شرقا وفرنسا وإنجلترا غربا، حيث أدت تحالفات تلك الدول الثلاث إلى كبح جماح "جيليوم الثاني" وإفشال رغبته في توسيع الإمبراطورية الألمانية لتشمل كل أوربا. فأدت تلك التحالفات إلى زيادة إحساس الألمان بالحصار بين روسيا وفرنسا وإنجلترا. وبالعودة إلى أسباب وطبيعة وتغير التحالفات الأوربية، نجدها أيضا تعود إلى نتائج حروب سابقة دارت في أوربا خلال القرن التاسع عشر، وكان أبرزها حرب 1870 بين فرنسا والتحالفات الألمانية بقيادة مملكة بروسيا. فلنلقِ نظرة أكثر

تفصيلا على تلك الحرب المحورية. بالإضافة إلى مملكة بروسيا، كان التحالف الألماني مكونًا من كونفدرالية دول شمال ألمانيا التي تضم إحدى وعشرين دولة، وانضم للتحالف كل من مملكة فورتمبرج ومملكة بافاريا ودوقية بآد. وكان المحرك الرئيسي لهذا التحالف البروسي الألماني هو: بسمارك (أوتو فون بسمارك) الذي كان يشغل وزير ورئيس مملكة بروسيا، ومستشار الكونفدرالية الألمانية، ولاحقا المستشار الأول للإمبراطورية الألمانية.. وكان بسمارك قد صرح مرارًا برغبته في توحيد ألمانيا، والانتقام لها من هزيمتها على يد نابليون بونابرت، خاصة من هزيمة موقعة "يينًا" عام 1806.

مافرنسا، فكانت في ظل حكم الإمبراطور نابليون الثالث (ابن شقيق نابليون بونابرت) الذي كان قد انتخب رئيسًا للجمهورية الثانية بعد ثورة عام 1848 ، ثم انقلب عليها عام 1852 وأعاد نظام حكم الإمبراطورية لفرنسا.

وأخذ بسمارك في التحرش بفرنسا، تارة لفرض أحد الأمراء ملكا على إسبانيا بجنوب غرب فرنسا، وتارة مطالبا بضم مقاطعة الألزاس واللورين بشرق فرنسا، وتارة أخرى بتهديد النمسا والمجر المتحالفة مع فرنسا.. إلى أن استطاع نصب فخ وقع فيه نابليون الثالث بخصوص إهانة أحد سفراء فرنسا.

كانت فرنسا ضعيفة عسكريًا، لأن قيادات جيشها متناحرة وغير منسقة فيما بينها. وقد سبق لها أن خسرت معاركها في المكسيك. لكن نابليون الثالث عاش متصورًا قيامه بنفس أمجاد عمه، وظل يوجه كل جهوده نحو توسيع مستعمرات فرنسا في العالم، حتى إنه كان يحلم بحفر قناة بين الأمريكتين في نيكاراجوا قبل قناة السويس وقناة بنما للسيطرة على الطرق البحرية.

عندما ضاق نابليون الثالث باستفزازات بسمارك، أعلن الحرب على مملكة بروسيا في 19 يوليو من عام 1870 ، متصورًا تفوق الجيش

الفرنسي عددا وإعدادًا وتسليحًا. وبدأت فرنسا الحرب بقوات تعدادها 300 ألف مقاتل، في حين بدأت بروسيا بقوات تعدادها 500 ألف. ومع زيادة أعداد المجندين، وصلت القوات الفرنسية إلى 900 ألف، في حين انضمت إلى القوات البروسية قوات الكونفدرالية الألمانية، فوصل تعدادها إلى مليون و200 ألف محارب. وأدار نابليون الثالث المعارك بنفسه، وذهب يحارب على الجبهات دون تحقيق أي انتصارات، إلى أن حدثت موقعة "سيدان" في الثاني من سبتمبر عام 1870 ، التي انهزم وأسر بها ومعه 39 من كبار القادة من الجنرالات و70 ألف جندي، فاضطر للاستسلام والتوقف عن القتال، وخُلع من منصبه الإمبراطوري، وتم نفيه إلى إنجلترا. وانتهت الإمبراطورية الفرنسية بغير رجعة منذ 4 سبتمبر، وتأسست الجمهورية الثالثة، التي ظلت قائمة حتى نهاية الحرب العالمية الثانية. لم تتوقف المعارك بعد هزيمة نابليون، فقد بدأت المقاومة وحرب الاستنزاف ضد القوات الألمانية، ووصلت إلى ذروتها مع حصار باريس من يوم 17 سبتمبر 1870 إلى 26 يناير 1871. وقد دخل شعب باريس في مجاعة شديدة، رافضًا الاستسلام، حتى إن محلات البقالة والمأكولات كانت تبيع لحم القطط والفئران وبعض الحشرات مع قطع الخبز الأسود المخلوط بالطين والأعشاب. وقد اضطرت الحكومة الفرنسية إلى التوقيع على وقف إطلاق النار في 26 يناير، وقبلت بالهزيمة بعد أن راح ضحية هذه الحرب أكثر من 140 ألفًا من الجنود، أمام 50 ألفًا من الجانب الألماني.

انتهت الحرب وقامت فرنسا بدفع تعويضات ضخمة لألمانيا، التي نجحت في ضم مقاطعة الألزاس واللورين، وظلت الحال على هذا النحو إلى أن قامت الحرب العالمية الأولى، فاستعادتها فرنسا من ألمانيا بعد 44 سنة من الاحتلال.

هكذا تقوم الحروب لحل مشاكل لم تحلها حروب سابقة، ولتحقيق أطماع السيطرة والهيمنة التي لم تتحقق في الماضي، وللثأر من

هزائم رسّبت المرارة في النفوس. وإن نظرنا لحال أوربا اليوم، أكاد أجزم أن رواسب الماضي لا تزال عالقة في نفوس الكثيرين، مما يعوق أحلام الوحدة الأوربية الكاملة، وقد يكون للحكماء من الأجيال الجديدة الكلمة العليا، فتظل الخلافات القديمة في طيّ النسيان، ويظل السلام سائدًا.

maktabbah.blogspot.com

أكبر مكتبة للكتب و الروايات الحصرية
والمميزة والنادرة بصيغة PDF

تابعونا على الموقع الرسمي

www.maktabbah.blogspot.com

أو على قناة التيليجرام

t.me/alanbyawardmsr

16 - بوريللي الفرنسي

في بداية الاحتلال البريطاني لمصر عام 1882 ، كانت بمصر جالية فرنسية مكونة من عدة آلاف من مختلف فئات الفرنسيين. كان بعضهم من العمال سواء فنيين أو غير فنيين، وآخرين من صغار أو كبار التجار، وآخرين من اللاجئين السياسيين، وكان أكثرهم وجودًا هم من موظفي الحكومة المصرية. ومن هؤلاء كان المدعو "أوكتاف بوريللي بك"، موظفًا عامًا من رجال القانون، ثم صاحب جريدة صاخبة تصدر باللغة الفرنسية تحت عنوان "البوسفور المصري". وكان بوريللي مثال لما كانت عليه طبقة الوجهاء الفرنسيين في ذلك الوقت، ومواقفهم غير الواضحة والصريحة تجاه مصر وإنجلترا، والدور الذي قاموا به في الإبقاء على الهيمنة الأجنبية على البلاد. أما موقف المصريين تجاه أمثال بوريللي، فكان تجاهلهم والاكتفاء بالحديث والتوجه للدولة الفرنسية ذاتها. أما الإنجليز المحتلون، "كرومر" ورجاله من أمثال ألفريد ميلنر، فكانوا ينظرون إلى هؤلاء الفرنسيين باحتقار شديد.

وكان "أوكتاف بوريللي" من مواليد مارسيليا بجنوب فرنسا عام 1849 ، من عائلة اعتادت السفر والترحال لمختلف البلاد، فأتى إلى مصر وهو في سن الثلاثين من عمره، بعد اتهامه في عملية فساد مالي في إدارة حكومية كان يشغل فيها منصبًا رفيعًا. وقد برر اختياره لمصر بأن المهاجرين إليها لا يُطلب منهم تبرير أفعالهم وحياتهم الماضية، بل كانت مصر تمثل بلد "الممكن"، أي إن كل شيء فيها مباح وممكن حدوثه، ويسهل فيها تكوين الثروات بطرق سريعة، ذاكرًا ديليسبس مثالا لذلك.

فور وصوله لمصر في بداية عهد الخديو توفيق، ونظرًا لتمتعه بشهادة جامعية وخبرة قانونية، تم تعيينه يوم 10 يوليو 1879 من

قبل الخديو مستشارا قانونيا في وزارة المالية. وكان الخديو توفيق قد بدأ عهده بالإطاحة بكثير من رجال الدولة الذين عملوا في مؤسساتها في عهد والده الخديو إسماعيل. وقد بدأ بوريللي عمله براتب سنوي 25 ألف فرنك، واستطاع خلال أسابيع قليلة أن يصبح عضوًا في النوادي الخديوية، فتبدأ حياته الاجتماعية القاهرية في الصعود، وفي أقل من سنتين تحول إلى أهم موظف فرنسي في الحكومة المصرية. وقد استمر بوريللي في الصعود السريع في السلم الوظيفي، فزادت اختصاصاته وتنوعت، وزاد راتبه وامتيازاته إلى أعلى الدرجات. وعند نهاية عقد عمله عام 1885، حصل على تعويض مالي ضخم، مما يجعل منه أحد أعضاء طبقة الأثرياء في مصر.

أما ما قام به بوريللي خلال تلك السنوات الفارقة في الحياة السياسية المصرية، فهي تحتاج شيئًا من التوضيح:

• في البداية عمل في مهام استشارية قانونية بحتة بوزارة المالية.

• تولى القيام بدور المحامي في قضايا متنوعة، من أهمها دفاعه في محكمة استئناف الإسكندرية عن حسن باشا سرى، مدير الغربية (محافظ)، في قضية خاصة بالضرائب العقارية ضد أحد رجال البنوك، يعقوب إليا بغدادي، الذي كان يحمل الجنسية البريطانية.

• تولى مهام الاستشارات القانونية لحساب رياض باشا وفخري باشا، في إطار عمل اللجنة الدولية للإصلاح القضائي.

• عمل على تعديل النظام القضائي المصري مع الاحتفاظ بكل امتيازات الماضي للمحاكم القنصلية المعنية بالأجانب، وإنشاء محكمة القضاء العالي المهيمنة على مختلف المحاكم المصرية سواء المحاكم الأهلية أو المحاكم المختلطة. وقد قام بهذا العمل عام 1882 ، تحت هيمنة الحكم البريطاني للبلاد، وضد إرادة نوبار باشا الذي كان يسعى لتولي هذه المهمة بنفسه.

خلال هذه الفترة، حصل بوريللي على لقب البكوية كما حصل على العديد من الأوسمة الأجنبية (إيطاليا، البرتغال، ايران).

في 7 يناير من عام 1882 (قبل الاحتلال)، أرسلت كل من الحكومة الفرنسية والحكومة البريطانية مذكرة مشتركة إلى الخديو توفيق. كان الغرض من تلك "المذكرة المشتركة" هو محاولة وقف انتشار "الحركة العرابية" كما سمُوها، وقد اعتبرت تلك المذكرة محاولة أجنبية للتدخل في الشئون الداخلية المصرية، مما جعل الشعب يلتف حول عرابي، واعتبار جيشه هو الضامن الأوحد للأمن، رافضًا كل التدخلات الأجنبية، وفي ظل اشتداد التوتر والتخوف من دور الأجانب، قام الأسطول البريطاني بإطلاق المدافع على مدينة الإسكندرية في يوليو 1882 ، مدعيًا تهدئة المظاهرات.

لجأ الخديو توفيق للاختباء على سفن الأميرال "سيمور" قائد الأسطول الإنجليزي، وذهب بوريللي مع الجاليات الأجنبية إلى الإسكندرية، انتظارًا لما يحدث. وكان بوريللي متوقعًا للغزو البريطاني للبلاد، ومع ذلك كان متخوفا من فقدان وظيفته كفرنسي في الحكومة المصرية. لذلك، كان هذا التخوف من دواعي احتقانه ضد الحركة العرابية، مما جعله يسرع بنشر في الوقائع المصرية مرسومًا خديويا يوم 24 يوليو 1882 ، بقرار إقالة أحمد عرابي باشا من منصب وزير الحربية. كان بوريللي، مثل معظم الأجانب في مصر، له رؤية سلبية ضد عرابي ورجاله، فكان يقول إن الحركة العرابية تذكره بمأساة "الكومونة" الفرنسية، تلك الثورة التي أسقطت نابليون الثالث وأرست الجمهورية قبل تلك الأحداث بعشر سنوات. فكان من دواعي سرور بوريللي تمثيل الحكومة المصرية في قضية محاكمة عرابي بعد هزيمته في التل الكبير.

حاول بوريللي جاهدًا إضافة تهم غير التذمر ضد الخديو، مدعيا أنه ارتكب جرائم مخلة بالشرف وقتل الأبرياء وحرق الإسكندرية، في محاولة منه للحصول على حكم بإعدام عرابي. وكان الخديو توفيق

مؤيدًا لهذا التوجه، لاعتقاده أنه سيؤدي إلى ترسيخ سلطاته المهتزة على البلاد، لو تم اعدام عرابي. لكن، اصطدم توجه بوريللي بخبث الموقف البريطاني، إذ أوضح اللورد ديوفران أنه يجب الاكتفاء بنفي عرابي خارج البلاد، إذا وافق أن يقر بأن ثورته ضد توفيق كانت بإيعاز من السلطان العثماني، فيحصلون بذلك على وسيلة ضغط على الباب العالي، ولا يظهر عرابي كشهيد لحركة وطنية، ويظل الخديو توفيق ضعيفًا لا يقدر على مخالفة توجهات بريطانيا في مصر.

غضب بوريللي من هذا الحل البريطاني واستقال من مهام "النائب العام" وتم استبداله بتيجران باشا، الإنجليزي التوجه، ابن شقيق نوبار. وعندما بدأت محاكمة الصاغ سليمان سامي بتهمة؛ أنه هو الذي قام بحرق الإسكندرية، حاول بوريللي الدفاع عنه بقوة حتى لا ينفى التهمة عن عرابي نظرًا للضغينة التي كان يحملها ضده. لكنه فشل وتم إعدام سليمان سامي. (لكنه سينجح عام **1887** في الدفاع عن ضابط آخر هو الصاغ حسن بهنساوي الذي اتهمه الإنجليز بتسليم مدينة الخرطوم وحاكمها "جوردون" لثوار المهدي).

يستمر بوريللي في القيام بمختلف المهام الخاصة والعامة لسنوات طويلة في مصر. وفي وقت من الأوقات سيصبح صاحب أقوى جهاز إعلامي بملكيته للصحف. وقد نشرت عنه صفحات امتلأت بها عدة كتب فرنسية بموضوعية شديدة للحكم عليه، سلبًا وإيجابًا، وعلى أمثاله ممن تعاونوا مع المحتل الأجنبي لمصر. ويتضح من الأرشيف الدبلوماسي الفرنسي، أنه كان على صلة وثيقة بالوكالة الفرنسية (السفارة)، وأنه قام بأدواره الرسمية دائمًا بالتنسيق مع أعضائها، ولمصلحته الخاصة أولا ثم لمصلحة فرنسا ومصلحة المحتل الأجنبي. صفحات بوريللي مليئة بالقصص العجيبة لتصرفات الجاليات الأجنبية ضد البلد المضيف لهم ولسنوات طويلة.

فلنكتفِ بهذا القدر حتى لا نتهم بعقدة الخواجة أو عكسها.

17 - كيليكيا يا أردوغان

مشروع الإمبراطور المسمى بالرئيس أردوغان يعيش في وهم وأحلام استعادة دور الخلافة العثمانية، ليتحول إلى سلطان وإمبراطور الشرق. ما كان يخيفنا هذا المصاب بجنون العظمة، لولا وقوف الولايات المتحدة والحلف الأطلنطي في كواليس السياسة التركية لتزكية الفتنة وإشعال حرائق مفتعلة بين الستة والشيعة من جانب، وتركيا والأكراد من جانب آخر، وهي لهذا تدعم أوهام هذا القرد الخائن.

لقد انبرى الرئيس التركي في الشهور الأخيرة مناديا باستعادة تركيا للموصل في العراق، ولحلب في سوريا، بادعاء أنها كانت تاريخيًا في زمام الدولة التركية في فترة الخلافة العثمانية. لذلك نرى تركيز داعش وباقي المنظمات الإرهابية على استمرار احتلال هاتين المدينتين.

وما موقفنا نحن في مصر من تلك الأطماع التركية؟ ألن تطولنا آجلا إن لم يكن عاجلا؟

لكن مصر، كانت عبر التاريخ لها وضع خاص، وتثور عند الضرورة ضد تصرفات الأتراك والشراكسة لإعادة الحق لأصحابه، وتعلم تركيا تماما كيف يكون رد الفعل المصري إن حاولت المساس بالدولة المصرية. ولنتذكر مثال "كيليكيا".

تقع مقاطعة "كيليكيا" في الطرف الجنوب الغربي لتركيا المتاخمة لسوريا، والمطلة على البحر الأبيض المتوسط، على بعد بضعة أميال من قبرص. إنه موقع تركيا الإستراتيجي... وقد كانت كيليكيا في الماضي ومنذ عصر قدماء المصريين، لها أهمية إستراتيجية. حيث كانت أول مصدر لأخشاب السفن ولخيول الجيوش، كما أن موقعها

في حضن جبال طوروس، وداخل برزخ بحري جعل منها ميناء لانطلاق سفن قراصنة البحار والأساطيل الحربية فيما بعد. كذلك مرت كيليكيا عبر العصر البيزنطي بفترة رواج جعلت منها مملكة مستقلة، تنازع عليها الأرمن الأرثوذكس وفرسان الجيوش الصليبية الكاثوليك.

عندما سلم المصريون حكم بلادهم لصلاح الدين الأيوبي، هذا الكردي الذي جاءها من تكريت بشمال العراق، قام بصد الهجمات الصليبية القادمة إلى فلسطين عبر كيليكيا، فذهب حتى احتلالها لوقف تقدمهم برًا (.(1189

وعندما هجم المغول على بلاد الشرق الأوسط، تصدى لهم الظاهر بيبرس وجيشه المصري في معركة عين جالوت. وكان أمير كيليكيا قد تحالف مع المغول ضد العرب، فقام الجيش المصري بغزو لمملكة كيليكيا، (أرمنيا الصغرى) عام 1266 بقيادة الأمير عز الدين أوغان والأمير قلاوون الألفي في عهد السلطان الظاهر بيبرس. انتهت المعركة بهزيمه كبيرة للأرمن، وتدمير عاصمتهم سيس وعدة مدن، وعاد الجيش المصري للقاهرة بالغنائم والأسرى ومنهم ليون بارون الأرمن. وسميت تلك المعركة بنكبة ميري.

شارك الأرمن الجيش المغولى مرة أخرى ودمروا ونهبوا مدينة حلب، فجاء الرد المصري بهجوم جديد على مدن كيليكيا، فأرسل الملك ليون وفدًا إلى مصر ليتفاوض على اتفاق سلام، ووقعت فعلا اتفاقية في 6 يونيه 1285 ، بمقتضاها بقيت كيليكيا تدفع لمصر كل سنه 500.000 درهم جزية. وأخيرا استسلمت المملكة التي افترستها الخلافات الداخلية (1375) للمصريين، وتم أسر آخر ملك لكيليكيا "ليون السادس" وتم اقتياده للقاهرة، حيث ظل بها أسيرًا سبع سنوات، حتى قام بعض أمراء إسبانيا بسداد ثمن تحريره وسفره إلى فرنسا، حيث توفي في باريس.

احتلت كيليكيا "تراخيا" من العثمانيين في القرن الخامس عشر، لكن كيليكيا "بيدياس" لم تنضم إلى الإمبراطورية حتى عام 1515 .
وعندما هدد محمد علي السلطان العثماني في القرن التاسع عشر للحصول على استقلال مصر، وأرسل الجيش المصري لحصار السلطان، احتل إقليم كيليكيا من عام 1833 إلى 1840. وشكلت جزءا من الأراضي التي أدارتها مصر، التي أرغمت على إخلائها بأمر من القوات المتحالفة (بريطانيا وروسيا).

مكتبة بيت الحصريات
maktabbah.blogspot.com

وفي بداية الحرب العالمية الأولى، طالب الشريف حسين، خلال مراسلاته مع مكماهون بهذه المنطقة، كجزء من الدولة العربية الموعودة بعد التخلص من الاحتلال العثماني، باعتبارها جزءًا من الأقاليم السورية الشمالية، إلا أن بريطانيا رفضت إضافتها إلى الدولة العربية، بحجة أن سكانها خليط من العرب والترك، وليست من العرب فقط كبقية مناطق الشام والأقاليم السورية الشمالية، التي شكلت الدولة العربية المقترحة في معاهدة سيفر.

تذكرت كيليكيا وتاريخها لما مثلته لمصر عبر التاريخ كموقع لتأديب كل من فكر في مهاجمة بلاد الشرق الأوسط ومصر. فمصر عندما تستيقظ قادرة على ردع أي معتدٍ. فتذكر كيليكيا يا أردوغان.

مكتبة بيت الحصريات
maktabbah.blogspot.com

مكتبة بيت الحصريات
maktabbah.blogspot.com

أكبر مكتبة للكتب و الروايات الحصرية
والمميزة والنادرة بصيغة PDF

تابعونا على الموقع الرسمي

www.maktabbah.blogspot.com

أو على قناة التيليجرام

t.me/alanbyawardmsr

18 - عن الطائفية اللبنانية

في ظل حكم مصر لبلاد الشام لفترة دامت عشرة أعوام، من عام 1831 إلى عام 1841 ، كانت بلاد الشام (سوريا ولبنان وفلسطين) تنعم بشيء من الاستقرار، لتفضيل سكانها للحكم المصري على الحكم العثماني. وبعد اضطرار محمد علي للانسحاب إلى داخل الحدود الأفريقية، تحت ضغط حكومات أوربية، على رأسها إنجلترا (مؤتمر لندن 1840)، قام السلطان العثماني عبد المجيد الأول بإعادة تعيين والٍ تركي، مع توجيهه للسيطرة على الناس بأسلوب التفرقة من أجل السيادة. إلا أن تلك التفرقة كانت تمثل مخاطرة كبيرة، إذ إن اللعب بعواطف الطوائف والملل كان كاللعب بالنار.

ومع استخدام شعار زائف للديمقراطية، وتطبيق المساواة بين الطوائف، وجد عرب الجبال اللبنانية أنفسهم يعاملون كمواطنين من الدرجة الدنيا، في حين احتفظ الأتراك والأقليات المسيحية بامتيازات الطبقة العليا. وفى عام 1858 ، ثار الفلاحون الدروز المقيمون على مرتفعات لبنان ضد الاضطهاد الذي كان يمارسه الحكمدار الماروني، وتحولت المواجهات الكلامية بين الطائفة الدرزية والمارونية إلى مواجهة مسلحة عنيفة في 1860، راح ضحيتها عدة آلاف في لبنان، وامتدت لتشمل المدينة الكبرى دمشق في سوريا، حيث قتل أكثر من خمسة آلاف شخص في يوم واحد في 9 يوليو 1860. كان الأمير عبد القادر الجزائري، المجاهد الذي حاول منع الفرنسيين من احتلال الجزائر، مقيما كلاجئ سياسي مع نحو خمسة عشر ألفا من أتباعه الجزائريين والتونسيين في دمشق، يوم المذبحة الشهيرة. ويذكر أنه امتطى جواده مع أتباعه لمحاولة فض الخلاف بين الطوائف المسلمة والمسيحية أو اليهودية، لكنه لم ينجح في منع الاقتتال.

www.maktabbah.blogspot.com

وفى فرنسا، تأثر نابليون الثالث بأنباء المذابح والحرب الأهلية في بلاد الشام، فقرر إرسال قوة عسكرية إلى بيروت قوامها سبعة آلاف جندي لحماية الطوائف المسيحية. اعتمد نابليون على معاهدة قديمة، كانت قد وقعت من قرون بين الملك الفرنسي "فرنسوا الأول" والسلطان العثماني الشهير "سليمان القانوني". كانت هذه المعاهدة تنص على التزام الأتراك بحماية المسيحيين من اضطهاد المسلمين، وإلا فيسمح لفرنسا بالقيام بحمايتهم بنفسها، ومن هنا بدأ مبدأ الوجود الفرنسي في لبنان ساريا حتى يومنا هذا.

أما الخلافات الطائفية التي أشعلها العثمانيون حتى يتمكنوا من السيطرة على الشام، فقد أوقدوا بها نارًا لم تنطفئ حتى الآن. هكذا مارست دولة الخلافة دورها للهيمنة على مستعمراتها في فترات ضعفها.

مكتبة بيت الحصريات
maktabbah.blogspot.com

أكبر مكتبة للكتب و الروايات الحصرية والمميزة والنادرة بصيغة PDF

تابعونا على الموقع الرسمي

www.maktabbah.blogspot.com

أو على قناة التيليجرام

t.me/alanbyawardmsr

19 - أغرب معركة

أثناء الحرب العالمية الثانية، دارت معارك كثيرة على مختلف الجبهات وبين مختلف جيوش وأسلحة الدول المتحاربة. وكانت أحداث كل معركة تدوَّن عسكريا وتوثق بالمستندات لتكون فيما بعد الحرب مرجعًا للمتفاوضين على شروط السلم أو الاستسلام، أو لتتحول إلى وثائق تاريخية بالمكتبات لخدمة الباحثين في الشئون السياسية والعسكرية.

من المعلوم لنا أن الولايات المتحدة لم تقرر دخول غمار الحرب العالمية إلا بعد كارثة ضرب أسطولها البحري بميناء بيرل هاربور في سبتمبر 1941 . وقد سميت هذه الواقعة بمعركة بيرل هاربور، رغم أن القوات الأمريكية لم تشارك فيها إلا دفاعًا قدر استطاعتها عن قطع الأسطول التي تلقت ضربات الطيران الياباني العنيفة. وتم بالفعل حصر الخسائر في الأرواح والمعدات كما تم حصر أعداد قذائف المدافع المضادة للطيران وأعداد القنابل اليابانية التي دمرت الأسطول، وأعداد القنابل التي لم تنفجر.

تسببت كارثة بيرل هاربور في إشعال جو هستيري في الولايات المتحدة، كما تسبب إعلان الحرب في تصاعد مشاعر القلق والخوف لدى مختلف قادة أسلحة الجيش الأمريكي. وقد تسبب هذا الجو في اشتعال أغرب معركة في الحرب العالمية الثانية. ففي شهر فبراير من عام 1942 ، أي بعد نحو ثلاثة أشهر من تاريخ معركة بيرل هاربور، اشتعلت معركة لوس أنجلوس، التي لا أعتقد أن كثيرين على علم بأحداثها وظروفها.

فعن معركة لوس أنجلوس، تقول التقارير العسكرية والتاريخية، إن عدد القذائف التي أطلقتها مدفعية قوات الدفاع الجوي الأمريكي تعدت 1400 قذيفة. كما تقول التقارير إن عدد القتلى من الجانب

الأمريكي وصل إلى ستة أشخاص. أما الفترة الزمنية التي استمرت فيها المعركة، فتحدد التقارير ساعة بداية الإنذار بالساعة السابعة و18 دقيقة مساء من يوم 23 فبراير، تم خلالها إطفاء كل أنوار مدينة لوس أنجلوس لمواجهة غارة جوية، ولم تنطلق المدافع إلا في الساعة الثالثة والربع صباحًا، واستمرت في إطلاق القذائف المضادة للطائرات لعدة ساعات، ولم يتم رفع حالة الإنذار إلا في السابعة والثلث صباح يوم 24 فبراير سنة 1942.

أما عن القوات المعتدية، فقد ظنت القيادة الأمريكية أنها طائرات يابانية، لكنها لم تستطع إثبات ذلك لعدم سقوط أي طائرة معتدية. بل إن الطائرات المعتدية لم تسقط قنابلها في أي مكان، ولم تطلق قذيفة واحدة. وقد أكد القادة اليابانيون بعد الحرب عدم اقترابهم من الساحل الغربي للولايات المتحدة في أي وقت أثناء الحرب. أما القتلى الأمريكان الستة، فقد قتل ثلاثة منهم نتيجة سقوط شظايا القذائف الأمريكية ذاتها، وتوفي ثلاثة آخرون بالسكتة القلبية نتيجة الذعر من أصوات المدافع.

وقد نقلت الصحافة ووكالات الأنباء في حينها أخبارًا تؤكد أن الهجوم الذي حدث على مدينة لوس أنجلوس قامت بها أطباق طائرة جاءت من الفضاء، ونشرت بعض الصور التي توحي بذلك، فشنت المدفعية المضادة للطائرات سيلا من القذائف عليها، ظنًا أنها طائرات جاءت من اليابان. ويبدو أن هستيريا الحرب والذعر الأمريكي بعد موقعة بيرل هاربور هما اللذان أديا لرد فعل متشنج، فكان كبش الفداء هم زوار الفجر القادمين من الفضاء. وقد نتساءل: أكانت تلك المعركة من حروب الجيل السابع؟

20 - من سرق آثارنا؟

عندما نبحث في المراجع والأبحاث العلمية عن عمليات سرقة آثارنا الفرعونية على نطاق واسع، نكتشف معلومات مثيرة نجهلها، بل كان يجهلها علماء الآثار أنفسهم حتى وقت قريب. ومع تطور علوم وتقنيات البحث، يتم تصحيح كثير من الافتراضات الخاطئة التي قدمها الأثريون حتى وقت قريب على أنها معلومات صحيحة لتاريخ قدماء المصريين.

مثال ذلك ما تم التحقق منه بخصوص أحد الملوك المظلومين تاريخيًا وهرمه المفقود! أتحدث عن الملك "جد إف رع"، ابن الملك خوفو الذي تولى الحكم بعد أبيه قبل حكم أخيه خفرع وابنه منقرع. فكان هذا الملك متهمًا من بعض الأثريين بأنه قتل أخاه "كوعب" ليتولى الحكم بدلا منه، ولم يحكم إلا ثماني سنوات ثم مات من دون استكمال هرمه، فقام أفراد أسرته بهدم ما بناه من بدايات لهرم أبو رواش المفقود. وبفضل وسائل وتقنيات البحث الحديثة، ثبت أخيرًا أن هذا الملك، ابن خوفو الثاني، "جد اف رع"، لم يقتل أخاه، بل بالعكس كان محبوبًا من أسرته، وهو من أهدى لمقبرة خوفو مركب الشمس الذي وجد بجوار الهرم الأكبر، هذا بالإضافة إلى أن أسرة خوفو أقامت له تمثالا أمام الهرم، وهو تمثال أبو الهول ذاته الذي ثبت أنه لجد إف رع... ومن جانب آخر، فقد ثبت أن الهرم الذي أقامه أثناء حكمه الذي امتد لاثنين وعشرين عاما، وليس ثمانية أعوام فقط، كان قد اكتمل فعلا، بل صار من أعظم أهرامات الأسرة الرابعة هذه.

هذا الهرم المفقود، المسمى الآن بهرم أبو رواش، كان له نفس نسب هرم خوفو، وارتفع نظرًا لبنائه فوق هضبة حجرية بمنطقة أبو رواش، لتصل قمته إلى ارتفاع مقارب لارتفاع هرم خوفو باحتساب

www.maktabbah.blogspot.com

ارتفاعه على منسوب النيل. وكان ثلثه السفلي مغطى بالجرانيت الأسواني الضخم، يعلوه الغطاء الجيري وينتهي بالقمة المذهبة.

ولكن، لماذا اختفى هذا الهرم العظيم؟ توصل علماء المعاهد المتخصصة في بريطانيا وأمريكا إلى سر اختفاء هذا الهرم، فلقد سرق. نعم سرقت أحجاره على فترتين. وتم اكتشاف الأدوات التي استخدمت في فك الأحجار الضخمة. وكان أول السارقين قيصر الرومان "أغسطس" بعد مقتل "يوليوس" الذى كان قد احتل بجيوشه مصر. وهو من أمر باستخدام أحجار أجمل الأهرامات في تشييد قصوره. وظل هذا الهرم المتهدم بفعل الرومان معرضا للسرقات خلال عدة قرون حتى القرن التاسع عشر، حيث بدأت عمليات بناء القصور الفخمة في ربوع القاهرة باستخدام الحجر بدلا من الطوب. ويذكر أحد المؤرخين الإيطاليين كيف كانت تدخل القاهرة كل صباح قوافل مكونة من مئات الجمال المحملة بأحجار البناء، قادمة من منطقة أبو رواش، ويدعي أن بعضها كان يحمل الرسومات الهيروغليفية. وهكذا تمت سرقة هرم "جد إف رع"، بن خوفو، المتمثل في وجه أبو الهول، بدءاً من الرومان وانتهاءً بباشوات القرن التاسع عشر. ومنذ إعادة اكتشاف عظمة حضارة قدماء المصريين على يد الأوربيين الذين قاموا بالعديد من الحفائر في كل أرجاء مصر، قام نفس هؤلاء الأوربيين بنهب وسرقة مئات الآلاف من المقتنيات الفرعونية التي ملئت خزائنهم ومتاحفهم. ولم يكن من الجانب المصري أي وعي ثقافى بالتراث لمنع ذلك أو الاهتمام بما يحدث، أول تطبيق لنظرية "خليهم يتسلوا". واليوم، ندعو أولا إلى عمل حملة قومية تثقيفية على كل المستويات للتوعية بأهمية وقيمة آثار أجدادنا، وتعليم أبنائنا التاريخ الصحيح لبلادهم. وحتى يدرك الجميع أهمية هذه الحملة الثقافية، فلنبدأها بحملة لإعلان تمسكنا الرسمي بملكيتنا لتمثال نفرتيتي المسروق، والمطالبة باستعادته.

لقد سرق الرومان هرمنا، وسرق الألمان مليكتنا.

مكتبة
بيت الحصريات
maktabbah.blogspot.com

الجزء الثاني

مكتبة
بيت الحصريات
maktabbah.blogspot.com

حكايات وذكريات من

مكتبة
بيت الحصريات
maktabbah.blogspot.com

زمن وزمان

مكتبة بيت الحصريات
maktabbah.blogspot.com

1 - من حفنا

كان الشيخ محمد سالم أبو الأنوار الحفناوى، ثامن كبير أئمة الأزهر، وشيخه، قد وصل منتخبًا من علماء الإسلام للمنصب الرفيع عام 1767 . كان هذا الشيخ من العلماء في أمور الدين والدنيا، قد تميز بتصوفه حتى أصبح "شيخ الطريقة الخلواتية" أو "الحفناوية" حيثما جاء بكتاب تاريخ مصر للجبرتي، حيث قدمه كما يلي:

قال عنه الجبرتي في عجائب الآثار: (هو الإمام العلامة الهمام أوحد أهل زمانه علمًا وعملا، ومن أدرك ما لم تدركه الأوائل، المشهود له بالكمال والتحقيق، والمجمع على تقدمه في كل فريق، شمس الملة والدين محمد بن سالم الحفناوى الشافعي الخلواتي).

لأن هذا الامام قد ولد ونشأ بقرية "حفنا" المجاورة لمدينة بلبيس بالشرقية، فقد سمَّاه الناس بالحفناوى وأحيانا بالحفني. وقد كان من "الأشراف" عن طريق جدته من أبيه، لانتماء أصوله لسيدنا الحسين، حيث قال الجبرتي:

(هو شريف حُسيني من جهة أمِّ أبيه السيدة ترك بنت السيد سالم بن محمد بن علي بن أبي طالب، وهذه ميزة تُذكَر للشيخ).

ولا أعرف إن كانت لهذا النسب ميزة، وهل لي ادعاء هذا الانتساب حيث إنه الجد الأكبر لجدي؟ والله أعلم.

كان هذا الشيخ من الصالحين المتنورين، فإلى جانب تصوفه، كان عالمًا بأمور الدنيا حتى صار مرجعًا في فض المنازعات بين كبار القوم وأمراء المماليك عند اختلافهم ومحاربة بعضهم بعضا، لنيل المزيد من أرزاق الدنيا، باستخدام الأساليب غير الشرعية، ومنها تكفير أعدائهم. فكانوا يلجأون للشيخ لفض المنازعات، وكان هو مناهضًا لكل أنواع وأساليب التكفير والادعاء. وهنا أيضًا يصفه

الجبرتي يقول:

(كان - رحمه الله - قطب رحى الدِّيار المصريَّة، ولا يتمُّ أمر من أمور الدولة وغيرها إلا باطِّلاعه وإذنه).

وكان من بين ما يظهر انفتاحه على أمور الدنيا، موهبته الشعرية وقدرته على تنظيم القصائد، بعضها في مجال الغزل، مثل هذا البيت: "خطر علينا غزال مر ما اتكلم... إيش كان يضره إذا بالراس لي سلم حتى أسر مهجتي لولا السلام سلم". وفي هذا الصدد يقول الجبرتي مستخدما أبيات الشعر:

www.maktabbah.blogspot.com

العالم اللسن الذي أوصافه

بعبيرها تغني عن الروض الندي

ومن ارتدى برد المحامد يافعًا

وتلفع الحسنى بأزكى محتد

وسما على الأعلام من أهل الهدى

بمآثر غر وحسن تودد

ولكم له في كل علم غامض

سِفرٌ تناهى في الكمال المفرد

أدب على النقاد دار حـديثه

متناسقًا كاللـؤلـؤ المتنضد

مكتبة بيت الحصريات
maktabbah.blogspot.com

لذلك كان يجيد الربط بين أمور الدين والدنيا. وله كتابات عديدة في العقيدة والأحاديث وغيرها، تحدث عنها باستفاضة الشيخ عبد الحليم محمود في كتابه المخصص للشيخ الحفناوى.

وعندما اشتدت الحروب بين أمراء المماليك، وعند لجوء بعضهم

للإمام الأكبر ليقوم باتخاذ موقف مضاد لفريق ضد آخر باستخدام أدوات "التكفير" رفض الشيخ الحفناوى، إمام الأزهر الثامن منذ عشرة أعوام، اقتراف مثل هذا الفعل، فما كان منهم إلا اغتياله باستخدام السم في الطعام.

هكذا كان الإرهاب يستخدم أدوات التكفير، ويغتال شيوخنا الملتزمين بأصول الدين السمح. رحم الله شيوخنا المستنيرين، شهداء الإرهاب.

maktabbah.blogspot.com

أكبر مكتبة للكتب و الروايات الحصرية والمميزة والنادرة بصيغة PDF

تابعونا على الموقع الرسمي

www.maktabbah.blogspot.com

أو على قناة التيليجرام

t.me/alanbyawardmsr

2 - ذكريات مع البُنديرة

هي بُنديرة عداد التاكسي الذي كان السائق يرفعه لأعلى عند خلو التاكسي من الركاب، أو يكسره للأسفل عند صعود راكب حتى يبدأ العداد في احتساب قيمة المواصلة. أصل اسمها من اللغة الفرنسية – مثل معظم مصطلحات السيارة – فكانت تسمَّى (BANDEROLLE) أي العلم الصغير أو اللافتة التي ترفع للإعلان عن شيء.

عند تذكر تلك الكلمة استرجعت تاريخًا مضى من الستينيات عندما كنت مع شباب جيلي أستقل التاكسي للذهاب إلى وسط البلد، فأذهب إلى الموقف حيث اصطفت سيارات الأجرة بنظام دقيق لانتظار الركاب، فأركب السيارة الرينو القديمة حيث يوجد مقعدان مطويان أمام الأريكة الخلفية يتم فردهما لجلوس الأطفال. فيقوم عم حسين السائق (الشوفير) بكسر البنديرة، ويبدأ التحرك بإعطاء إشارة بيده خارج النافذة، رغم خلو الشارع من السيارات. وعم حسين هذا ممن اعتادوا الانتظار في هذا الموقف حتى صار من معالم المنطقة. وينطلق التاكسي والعداد به علامة الستة قروش أي (شلن وقرش صاغ)، ولا تتحول إلى رقم سبعة قبل بلوغ منتصف الطريق، ثم نصل إلى وسط البلد بموقف ميدان سليمان باشا، ويكون العداد قد وصل إلى تسعة قروش، بما يسمح بإسعاد السائق ببقشيش قيمته عشرة مليمات. أي إن تكلفة المواصلة قد ارتفت إلى بريزة (عشرة قروش).

ثم أبدأ رحلتي مترجلا على الرصيف الواسع الممتد بجوار المباني الباريسية الفخمة، ذاهبًا إلى القمصانجي بشارع عدلي لاستلام ما قام بتفصيله من قمصان اللينو، ومع كل قميص ياقة إضافية وإسورة، فيقوم بتغليفها بعناية وتسليمي إياها في كيس من الورق الكرافت المزين بعلامة المحل التجارية، بعد سداد فاتورة قدرها ثلاثة

جنيهات.

أستكمل رحلتي ذاهبًا إلى محلات "أوروزديباك" أو عمر أفندي لشراء بيجاما شتوية جميلة من الكاستور، وهي الأفضل للحماية من برودة الجو ليلا. وبعد اختيار سلعتي، أجد البائع المختص ينادي بأعلى صوته "كيس"، فيحضر ساعي يرتدى بذلة كاكي لأخذ المشتريات لتوصيلها إلى الخزينة للسداد، في حين أستلم من البائع النحاسة برقم محدد لاستلام البضاعة من الخزينة بعد سداد القيمة. يبقى بعد ذلك شراء شيء آخر، إذ لا مفر من المرور بمحلات باتا لشراء حذاء رياضي ثمنه 99 قرشا لاستخدامه خلال تلك السنة قبل أن يتغير المقاس مرة أخرى.

وبانتهاء تلك المشتريات، قررت الذهاب إلى السينما لمشاهدة فيلم جديد للممثل كاري جرانت بسينما كايرو، حيث سددت ثمن تذكرة السينما وقدرها 23 قرشا في اللوج. بعد انتهاء العرض، وجدت أن المتبقي معي من رصيد يكفي لتناول الآيس كريم المسمى "تروا بتي كوشون" من الأمريكين عند تقاطع شارع فؤاد وشارع سليمان باشا، بحيث يكفي ويزيد ما سيتبقى من العشرة جنيهات بجيبي لسداد بنديرة التاكسي عند العودة للمنزل.

وعند الوصول للمنزل، وجدت أن المتبقي معي من العشرة جنيهات يكفي لقضاء سهرة مع أصدقائي مساء نفس اليوم. فهكذا كانت بنديرة الحياة في مصر في ستينيات القرن الماضي.

3- المستحيل

www.maktabbah.blogspot.com

كانت لنابليون بونابرت مقولة شهيرة يطلقها أمام جنود جيشه، عندما تشتد المعارك ويصبح جيشه في موقف حرج لدرجة استحالة فك حصاره، فيقول لهم: (IMPOSSIBLE N'EST PAS FRANÇAIS) أي إن المستحيل ليس بفرنسي، فيتحمس الجنود ويضاعفون من إقدامهم وقتالهم حتى فك الحصار والانتصار على العدو.

www.maktabbah.blogspot.com

وفي مرحلة شبابي، كان بعض أصدقاء والدي يؤكدون لي أنه شخص قوي لا يعرف المستحيل، وكنت أعتبر هذه الأحاديث من باب المجاملة والتشجيع لي لأحذو حذوه في الجدية والدراسة. ثم جاءت واقعة محددة، أكدت لي صحة هذا الوصف، فلاحظت بالفعل أن والدي يطبق تلك المقولة على نفسه، بحيث إن تعرض لمشكلة عويصة، يظل متفائلا بإمكانية التغلب عليها ومثابرًا حتى حلها.

www.maktabbah.blogspot.com

فعندما قامت الثورة الطلابية بفرنسا عام 1968 ، لم يكن والدي في فرنسا. وكنت مقيمًا بإحدى ضواحي باريس أثناء دراستي الجامعية، أنتقل يوميًا إلى الجامعة بالقطار ثم الحافلة لمدة الساعة. اشتدت الثورة الطلابية، وتحولت إلى إضراب عام تسبب في توقف كل آليات الدولة الفرنسية في مايو ويونيو 68 . لم تعد هناك نقطة وقود في السيارات والمحطات، توقفت القطارات والطائرات ووسائل الاتصال الهاتفية وغيرها، توقف الشعب بكامله عن العمل، أغلقت المصانع والشركات والموانئ، وتحولت المدن إلى مدن صامتة شبحية. أغلقت المحلات التجارية لنفاد البضائع، وخيم الإحساس بقرب انفجار كارثة المجاعة والصحة، ولم تعد الإذاعة تعمل إلا ساعات محدودة في محاولة طمأنة الشعب الفرنسي.

في وسط هذا الهدوء، الذي يسبق العاصفة، كنت متأكدا أن والدي يعيش في حالة من القلق الشديد، نظرا لوجوده بعيدا عني وعن

www.maktabbah.blogspot.com

الأحداث. وفي ظهيرة أحد أيام شهر يونيو، سمعت صوت محرك سيارة يقترب من البناية التي أقيم بها، وكان صوتًا لم أسمعه منذ أسابيع بعد أن توقفت وسائل الانتقال. طالعت الشارع من شباك مسكني، فإذا بأتوبيس ضخم كتب عليه "مطار بروكسل الدولي" يتوقف أمام البناية. نزلت مسرعًا لأعرف من هؤلاء الركاب بداخل الأتوبيس، ولماذا توقفوا هنا. فلم أجد راكبا واحدا داخل هذا الأتوبيس سوى والدي، الذي نزل منه بحقيبته. فسألته، ما هذا الأتوبيس وكيف جاء بك هنا؟ فشرح لي أن حالة الإضرابات في فرنسا لم تؤثر على مطار بروكسل في بلجيكا، فوصل إليه بالطائرة، ثم استقل تلك الحافلة للذهاب بها إلى وسط العاصمة بروكسل. لكنه، وبعد نزول كل الركاب، أقنع السائق أن يواصل رحلته إلى باريس بنفس الأتوبيس، ملك مطار بروكسل. فاستأذن السائق لا سلكيا من إدارته، شارحا أنها حالة إنسانية، فقبلت الإدارة أن يذهب إلى باريس بالحافلة على بعد 250 كم، مقابل سداد قيمة الوقود في بلجيكا.

www.maktabbah.blogspot.com

كنت منبهرًا ومندهشًا من تصرف والدي، وكان هو سعيدًا فخورًا بإنجازه. لقد استطاع، اعتمادًا على نظرية "لا يوجد مستحيل"، أن ينفذ ما يريده ويصل إلى حيث توقفت مظاهر الحياة والحركة بإرادته المنفردة. وفي ذلك اليوم، اقتنعت بأقوال أصدقائه عنه، وفهمت كيف كان إصراره لمدة عشرين عامًا على تحقيق حلمه في استنقاذ قناة السويس من بين مخالب الاستعمار لتعود ملكا لمصر.

4- سوق الخضار

في عام 68 - 1967 ، كنت طالبًا جامعيًا في باريس، وقت أن كانت تلك المدينة الساحرة تعيش في عباءتها التاريخية بأنماطها القديمة، قبل أن تمتد إليها يد التحديث والتطوير. كانت الحافلات (الأتوبيسات) لا تزال تسير وسط شوارع المدينة، وفق مخططات السير القائمة منذ الحرب العالمية الأولى، فكانت تخترق الشوارع الضيقة، وتتوقف أحيانًا لنقل الركاب بناء على إشارتهم باليد، وليس بالضرورة لوصولها إلى محطة الانتظار، كما أنها كانت مجهزة بمنصات خلفية لتسمح للركاب الذين يركضون خلفها بالوثوب إلى المنصة للحاق بالمركبة. كذلك كان بالحافلة حبل متصل بجرس يجذبه الراكب الذي يريد النزول، حتى ينتبه السائق فيخفض من سرعته حتى يقفز الراكب من الباب دون خطورة.

www.maktabbah.blogspot.com

وفي هذه الفترة من الستينيات، كانت السيارات القديمة من إنتاج الأربعينيات، تسير جنبا إلى جنب مع السيارات الحديثة، وكانت سيارات التاكسي لها لون موحد (أحمر وأسود) وبها مقاعد إضافية في الخلف تفتح لجلوس الركاب الإضافيين، كما كان السائق مجبرًا على لبس "بالطو" أبيض طويل (مثل التمرجي). أما المترو، فكان الدخول إليه في الأنفاق يتم من خلال مراقب يقف عند كل بوابة، يقوم بثقب تذاكر الركوب بآلة يدوية، حتى أصبح هذا المراقب أضحوكة عند البعض، لقضائه الساعات الطويلة في تأدية هذه المهمة المملة، وصدرت الأغاني التي تتحدث عن ثقوب التذاكر الصغيرة. وهكذا كانت كل معالم الحياة في مدينة الجن والملائكة، يختلط فيها القديم والحديث.

كان بوسط باريس سوق ضخم للمنتجات الغذائية، أشبه بسوق الجملة الذي كان قائمًا في القاهرة بمنطقة روض الفرج، مع الفارق

أنه كان مغطى بمبنى معدني ضخم (LES HALLES) لحمايته من الأمطار والثلوج. وكانت سيارات نقل الأغذية الطازجة تصل إلى السوق في بداية الليل، ويتم إنزال البضائع لعرضها ثم بيعها بعد منتصف الليل، حيث كانت بعض المنتجات تباع بالمزاد للكميات الكبيرة. وعند انتهاء الليل، كانت البضائع المباعة قد تم تحميلها وخروجها من السوق بسيارات النقل العديدة، فيبدأ تنظيف السوق وتطهيره قبل بدء النهار، وبدء البيع للكميات الأصغر للأفراد والمحلات. وفي فترة الفجر، وقت انتهاء الأعمال الشاقة في السوق، يذهب الجميع إلى المقاهي والمطاعم المجاورة لتناول الوجبة الباريسية الشهيرة "شوربة البصل"، وينطلق الجميع في جو من المرح والموسيقى والغناء، في أغلب الأحيان، بأصوات شاذة، للتعبير عن سعادتهم بانتهاء العمل.

www.maktabbah.blogspot.com

كنت قد علمت بإمكانية العمل في سوق الخضار هذا بنظام العمل الوقتي، أي يتم دفع قيمة العمل وفقا لعدد الساعات فقط، وبلا مراقب أو ضرائب أو غيره. فذهبت لاستكشاف طبيعة هذا العمل في السوق، أملا في الحصول على بعض النقود، قد تعين في الحصول على بعض الكماليات التي لا تسمح الحياة الطلابية بالحصول عليها، عندما تكون الموارد محدودة. وجدت أن العمل المعروض هو إنزال المأكولات من سيارات النقل لعرضها في السوق. وكانت القيمة الأعلى تدفع مقابل إنزال أجولة البطاطس الثقيلة التي يزيد وزنها على 25 كيلو جرامًا، فكانت قيمة ساعة العمل (تعتيق وتشوين) 20 فرنكا. ولأن صحتي كشاب رياضي في التاسعة عشرة من العمر تسمح بالقيام بهذا العمل، فقد قمت بإنزال أجولة البطاطس لمدة تصل لنحو ثلاث ساعات، فنلت ما يزيد على الخمسين فرنكا. فعدت إلى منزلى فجرًا سعيدًا جدًا بما حصلت عليه (من عرق الجبين) ومرهقا جدا من مشقة ما قمت به.

عدت للعمل بنفس هذا النظام عدة مرات، إلى أن تم نقل هذا السوق

في السنوات التالية من داخل باريس إلى الضواحي القريبة من مطار "أورلي"، وتم تطوير وسط المدينة بأساليب وأنماط معمارية حديثة، وتحول حي "الهال" إلى حي ثقافي أساسا وتجارى بعض الشيء. مع احتفاظه بمطاعم "شوربة البصل"، لكن بلا جو المرح الشعبي القديم.

وقد تعلمت من تجربة تفريغ أشولة البطاطس أهم شيء في حياتي: "لكل مجتهد نصيب"، وكذلك أهمية أن يسدد قيمة العمل والمجهود للعامل قبل أن يجف عرقه. درس في الحياة استفدت منه خلال مشواري المهني الطويل في مجال الأعمال والتنمية، لعل شبابنا يتعلم قيمة العمل منذ الصغر.

maktabbah.blogspot.com

أكبر مكتبة للكتب و الروايات الحصرية
والمميزة والنادرة بصيغة PDF

تابعونا على الموقع الرسمي

www.maktabbah.blogspot.com

أو على قناة التيليجرام

t.me/alanbyawardmsr

www.maktabbah.blogspot.com
www.maktabbah.blogspot.com

5- ابن باشا

مكتبة بيت الحصريات
maktabbah.blogspot.com
مكتبة بيت الحصريات
maktabbah.blogspot.com

بعد عام من بداية فترة دراستي بباريس، وتحديدًا بخريف عام 1968 ، تعرفت إلى شاب مصري من خلال بعض الأصدقاء، وكان يبحث عن مكان لإقامته بالعاصمة الفرنسية، فوجدت نفسي أعاونه في الانتقال بحقيبته إلى حيث يمكنه إيجاد مسكن. ولم يكن هذا الشاب طالبًا بإحدى الجامعات، وقد كان يكبرني ببعض الأعوام القليلة، أتى إلى باريس بحثا عن العمل والاستقرار بها، ولم أعلم عنه سوى أنه كان من سكان حي جاردن سيتي بالقاهرة، حيث أسكن.

www.maktabbah.blogspot.com

بعد بضعة تنقلات في صحبته بلا نتيجة، اقترحت عليه قضاء بعض الوقت معي بشقتي الباريسية حتى نعاود البحث عن مسكن له في وقت لاحق، فقبل شاكرًا وانتقل بأمتعته إلى مسكني الصغير.

وتيسيرا له، ولحسن استضافته، عرضت عليه النوم بغرفتي، مكتفيًا لنفسي باستخدام كنب قاعة المعيشة. وبدأ التعارف بيننا يزيد، فقام بإطلاعي على ألبوم صور عائلية، موضحًا أنه من "عائلة محترمة" (ومن ولاد الذوات)، وأن والده فلان الفلاني، الذي كان باشا في أيام الملكية، ومقربًا من الملك، وذا حيثية. هذا بالإضافة إلى صور لوالده وأفراد أسرته مع بعض مشاهير نجوم الفن العالميين.

لم يوفق "صديقي" المستجد في الأيام التالية في إيجاد مسكن يلائم تطلعاته، فامتدت إقامته معي بشقتي. ولم أكن في أي لحظة غير راضٍ بوجوده، خصوصًا أني كنت مضطرًا للذهاب يوميًا لكليتي للدراسة، فأعود إلى منزلي لأجده قد قام بترتيب البيت وتنظيفه، وكذلك أجده قد قام بإعداد بعض الوجبات الساخنة باقتدار، فامتد هذا الوضع لمدة زادت على الشهر، حتى جاء اليوم الذي طلبت من صديقي ابن الباشا الانتقال إلى مكان آخر، نظرا لاقتراب موعد حضور والدي في زيارة لفرنسا، حيث يكون من المعتاد أن يسكن

معي لمدة قد تصل إلى عشرة أيام. فانصاع الصديق وترك المنزل بأمتعته، ولم أره منذ ذلك اليوم حتى تاريخه، إنما حضر والدي في الموعد المرتقب، وفي اليوم التالي لحضوره، عدت إلى المنزل مساءً بعد انتهاء مهامي الدراسية، فوجدت والدي متجهما بشدة، وبدأ حديثه معي بعصبية وبحدة، وأظهر لي مستندا سائلا من هذا الشخص المسمى فلان؟ (ولا داعي لذكر الأسماء) فرويت له قصة ابن الباشا الذي كان يبحث عن سكن وإقامته معي، لكن لماذا؟ وكيف له أن يعرف هذا الاسم؟ فقص عليّ الموقف التالي:

قال: (ذهبت صباحا إلى البنك لسحب بعض النقود لزوم فترة إقامتي هنا، فهرعت إليّ موظفة شباك العملاء ممسكة بشيك مصرفي عليه توقيع يشبه توقيعي ومسحوب لصالح شخص يدعى فلان، وقالت إنه جاء صباح اليوم لسحب هذا الشيك، فلما انتقلت إلى غرفة الإدارة للتحقق من الرصيد، ترك الشيك وفر هاربًا من البنك.. ونتيجة لتصرفه هذا، راجعنا حساباتكم، فوجدنا أن هذا الشيك هو خامس شيك يقدم بمعرفة نفس الشخص، لكننا قمنا بصرف الشيكات الأربعة الأخرى في الأيام السابقة، وقد أفرغ الحساب من إجمالي الرصيد المتوفر به فعلا) صمت وذهول مني، فاستطرد الوالد: (أخذت شهادة من البنك وصور الشيكات وذهبت إلى قسم الشرطة للإبلاغ عن الواقعة، وهم في انتظارك غدًا لسؤالك عن هذا الشخص، وكيفية حصوله على تلك الشيكات وعلى توقيعي).

وفعلا، اتضح أن ابن الباشا استغل غيابي عن منزلي، فقام بتفتيشه ووجد دفترًا لشيكات حساب والدي، ثم وجد بعض المراسلات بتوقيع الوالد، فاقتطع من الدفتر مجموعة شيكات، وبدأ بسحبها بتقليد التوقيع. وكان هذا الدفتر موجودًا بمنزلي، لأني كنت أستعمله في صرف احتياجاتي المعيشية خلال فترة دراستي بباريس، حيث كان لي أيضا حق التوقيع على الشيكات. أما المبلغ الذي قام ابن الباشا بسحبه خلسة، فكان يكفي لمصاريف إقامتي بباريس لمدة

سنتين.

أجرت الشرطة تحرياتها، وعلمنا منها أن هذا الشخص مطلوب القبض عليه في قضايا نصب واختلاس متعددة في ألمانيا وفرنسا. ثم قام زوج شقيقتي المحامي بزيارة أسرة ابن الباشا في جاردن سيتي بمصر، فلم يعثر إلا على والدته، التي أفادت أن فلانًا هو ابنها الأكبر، وهو هارب من مصر لأنه قام بسرقة منزل أحد أقربائه الذي أبلغ عنه، وقالت: إن أمسكتم به، أرجو حبسه مدى الحياة، لأنه ابن عاق، وقد أرهقني وأرهق كل عائلته.

www.maktabbah.blogspot.com

وتساءلت في ذلك الوقت: هل انحدرت أحوال العائلات "الأرستقراطية" لدرجة قيام أعضائها بالنصب والاحتيال والسرقة؟ أم أن بعضها لم تحسن تربية أبنائها؟ أم إن الخلل الاجتماعي كان قائما أصلا في مصر من قبل ثورة يوليو؟ لكني لا أعتقد ذلك، فالأيام قد أثبتت أن بكل الفئات الاجتماعية الصالح والطالح.

فهذا المدعي "ابن الباشا"، ورغم أني لم ولن ألتقي به مرة أخرى، فإنه موجود في مصر، يعيش حياته الطبيعية وينشط أحيانا على وسائل التواصل متفاخرا بباشوية أبيه الزائفة.. فلا يسعني إلا قول: "يا خسارة يا مصر"

مكتبة بيت الحصريات
maktabbah.blogspot.com
أكبر مكتبة للكتب و الروايات الحصرية والمميزة والنادرة بصيغة PDF
تابعونا على الموقع الرسمي
www.maktabbah.blogspot.com
أو على قناة التيليجرام
t.me/alanbyawardmsr

6- برج مونبرناس

عندما كنت طالبًا في باريس أدرس الهندسة المعمارية، تصادف تشييد أعلى برج تشهده العاصمة الفرنسية في ذلك الحين، داخل الإطار الإداري للمدينة. وقد لاقى تشييد هذا البرج الكثير من الانتقادات، لما قد يمثله من تشويه للشكل العمراني الفريد لأجمل مدن العالم.

حيُّ مونبرناس، الذي أقمت به في وسط باريس كان يمثل حي تقليديًا فرنسي، لا يمت للأحياء السياحية المكتظة بالمحلات التجارية الشهيرة أو بالمتاحف الجاذبة للسياحة العالمية أو للحي اللاتيني المشهور بجامعاته وكلياته. هذا الحي كان به كل ما يخدم سكانه من احتياجات وخدمات على كل المستويات. أذكر مثلا؛ أنه كان يشتهر بالمسارح وقاعات السينما التي زاد عددها على مائة قاعة في قطر لا يزيد على 200 متر، وألف مطعم في حدود الحي. هو حي اشتهر بسكن كبار المفكرين والفلاسفة والفنانين منذ منتصف القرن التاسع عشر. حيٌّ عرف بمطابعه التي تخدم الحي اللاتيني ومكتباته، وعرف بملاهٍ ليلية يرتادها كبار القوم في آن واحد. حي به الكنائس والمعابد والمساجد المتجاورة بلا مشاكل. حي الفقراء والأغنياء في نفس الحيز الجغرافي. حي يمثل مدينة باريس التقليدية، كما تخيلها الأدباء والشعراء منذ الثورة الفرنسية.

www.maktabbah.blogspot.com

أقمت في هذا الحي ما يزيد على خمس وعشرين سنة. فأحببت باريس من خلال معاشرتي لروح هذا الحي... أما البرج، فقد انبهرت به وبأسلوب تشييده في قلب هذا الحي. لقد كنت شاهدا على إنشاء البرج منذ كان في مرحلة إعداد الأساسات حتى انتهاء تشييده وإسكانه إداريا. وقد شاءت الظروف أن اتخذت لنفسي مكتبا به في

فترة الثمانينيات، وكانت أسعد الأوقات في رحلة عملي الطويلة.

بدأ تشييد البرج عام 1969 ، فكنت أدخل يوميًا عند عودتي من الكلية إلى موقع البناء لأتابع تطور العمل قبل عودتي لمنزلي... لقد تعلمت الهندسة الإنشائية الحديثة من واقع متابعتي لهذا العمل العملاق، الذي كان يمثل في ذلك الحين قمة تكنولجيا الهندسة المعمارية. فمثلا، تم تشييد القلب الخرساني للبرج بما تمت تسميته بالشدّات المنزلقة، فارتفع القلب إلى كامل ارتفاع 62 طابقًا في أقل من ثلاثة أشهر، ثم بدأت إضافة الطوابق المعدنية المعلقة المثبتة من أحد جوانبها بالقلب الخرساني تدريجيًا وتباعًا، فبدأ البرج في الانخفاض التدريجي مع زيادة الأحمال. لذلك، فقد تم عمل الحسابات الهندسية للحركة الديناميكية الرأسية، حيث تم تشييد الطابق الأرضي بارتفاع الطابق الثالث، توقعًا لانخفاض كامل البناء حتى يستوي الطابق الأرضي في موقعه النهائي لحظة انتهاء التشييد. فكان هذا الإنجاز قمة ما يسمى بميكانيكا التربة وهندسة تشييد الأحمال الثقيلة.

استمرت انتقادات العامة لشكل البرج وسط عاصمة النور، مثلما حدث عند تشييد برج إيفل الشهير في نهاية القرن التاسع عشر. أما اليوم، فقد تعودت الأعين على شكله، وصار معظم الناس معترضين على مشروع إزالته. فتقرر إدخال تعديلات شكلية عليه لتحويله إلى برج أخضر تملؤه النباتات بكامل ارتفاعه. إن باريس مدينة تطور، ورغم تاريخها الطويل، فهي مثل الفتاة الجميلة التي يزداد جمالها وتظهر أنوثتها مع الوقت. فأين نحن من قاهرتنا الألفية وأبراجنا، ومعالم حياة سكانها؟

7 - لقاء مع صاحب الجلالة

في شهر مايو من عام 1973 ، أتيح لي أن ألتقي بالمرحوم الملك فيصل، خادم الحرمين، في باريس. لم أكن في هذا الوقت إلا طالبًا في مرحلة النهائية بالجامعة غير مهتمًا إلا بإنهاء مشروع تخرجي حتى أتمكن من بدء ممارسة مهنتي.

www.maktabbah.blogspot.com

في الواقع كانت مناسبة هذا اللقاء في أحد أفخم المطاعم الباريسية (ماكسيم)، هو اصطحابي لوالدي الذي كان مستشارًا قانونيًا لعدة شركات فرنسية لها أعمال بالمملكة. وكان وزير التقل الفرنسي "جون شامان" قد أعد هذا اللقاء مع الملك بمناسبة زيارته الرسمية لفرنسا ولقائه بالرئيس الأسبق "جورج بومبيدو"، رغبة من الوزير في تعريف رؤساء الشركات الفرنسية بالملك الزائر.

www.maktabbah.blogspot.com

نظرًا لسابق معرفة الملك فيصل بوالدي، الدكتور مصطفى الحفناوى، فقد دعاه للقاء بفندق "الكريون"، الذي كان يقيم به على بعد خطوات من المطعم الذي كنا سنتناول به طعامنا.

www.maktabbah.blogspot.com

ولأني اصطحبت والدي إلى إحدى قاعات الفندق للقاء الزائر الكبير، صمم جلالته أن أبقى معهم لأشاركهم الوليمة المعدة على شرفه بالمطعم. ولم يكن بالطبع لي أي دور في الأحاديث التي دارت خلال هذه الأمسية، لكني كنت مستمعًا جيد لكل ما يقال من الجانبين، فكانت إجادتي للغة الفرنسية ذات فائدة كبيرة لي لفهم رؤية الفرنسيين الحاضرين للعلاقات مع المملكة العربية السعودية وملاحظة نظرتهم الحقيقية لهذا الضيف المهم لهم.

www.maktabbah.blogspot.com

واسمحوا لي أن أقول "نظرة حقد واحتقار مختلطة بالغيرة والطمع". ولقد استوجب مني هذا اللقاء أن أبحث بعض الشيء في كتب التاريخ لفهم طبيعة العلاقات بين البلدين. وقد تلاحظ لي الآتي:

- كانت فرنسا من أولى الدول التي اعترفت بقيام المملكة العربية السعودية سنة 1926 ، فور اكتمال غزو قوات آل سعود لكامل الجزيرة العربية، وقبل أن تعلن بنفسها عن قيام مملكتها سنة 1932 . في حين اعترفت الولايات المتحدة الأمريكية بالمملكة سنة 1931.

- تخللت العلاقات السعودية - الفرنسية فترة برود دبلوماسي سنة 1965 ، بعد قيام المشير عبد الحكيم عامر، بزيارة رسمية لفرنسا، فقد اعتقد السعوديون أن فرنسا اتخذت موقفًا مؤيدًا لجمال عبد الناصر ضد التوجه السعودي المناهض للزعامة المصرية في العالم العربي.

- لم تتعد رؤية فرنسا للسعودية في إطار العلاقات التجارية طوال سنوات طويلة، ولم تبدأ بتغيير هذا التوجه إلا بمناسبة الزيارة الأولى التي قام بها الملك فيصل لفرنسا ولقائه بالرئيس "شارل ديجول" في 2 يونيو عام 1967 . أي قبل النكسة بأيام قليلة.

- رغم الارتياح (غير المعلن) من الجانب السعودي لنتائج حرب 67 ، إلا أن الرئيس الفرنسي ديجول قام بتطبيق حظر تصدير السلاح لإسرائيل بسبب قيامها ببدء العمليات العسكرية ضد مصر. ولم تُظهر السعودية، خاصة بعد مؤتمر الخرطوم، أي رد فعل سلبي أو إيجابي بالقرار الفرنسي.

- خارج إطار تبعات نكسة 67 ، لم تخرج العلاقات الفرنسية السعودية عن إطار العلاقات التجارية، إلى أن جاءت صدمة البترول مع حرب أكتوبر 1973 .

واضطرت فرنسا في ظل حكم الرئيس "جيسكار ديستان" إلى اتباع ما كان يسمى بالسياسة العربية لفرنسا التي أسسها ديجول، حتى لا تصاب مصالحها الكبرى في الشرق الأوسط، مع تقديم دعم مستتر لإسرائيل.

انتهت حياة الملك فيصل بالاغتيال عام 1975 ، وإذ إني لم أستنتج

شخصيًا مما شهدته وسمعته خلال اللقاء بباريس، أن تكون أسباب هذا الاغتيال على صلة بالسياسة الدولية – كما يعتقد البعض – لكني أميل إلى تصديق أنه قد اغتيل لأسباب لها علاقة بالصراع على السلطة داخل بيت آل سعود.

www.maktabbah.blogspot.com

لقد أحب بعض المصريين الملك فيصل، وكرهه البعض الآخر، لكنه في النهاية كان من أكثر حكام المملكة تميزا.

مكتبة بيت الحصريات
maktabbah.blogspot.com
أكبر مكتبة للكتب و الروايات الحصرية والمميزة والنادرة بصيغة PDF
تابعونا على الموقع الرسمي
www.maktabbah.blogspot.com
أو على قناة التيليجرام
t.me/alanbyawardmsr

8 - من كواليس التاريخ

بناء على طلب بعض الأصدقاء بسرد بعض قصص الكواليس التي قد لا يعلمها معظم الناس، تحضرني قصة لقاء تم عام 1971، بين المرحومين الرئيس أنور السادات، ووالدي الدكتور مصطفى الحفناوى.

قصة هذا اللقاء، تبدأ أحداثها في 8 سبتمبر عام 1970 . ففي إطار ما تمت تسميته فيما بعد بأحداث أيلول الأسود، قامت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين باختطاف عدد من الطائرات بركابها، وتم إنزال طائرة شركة "بان أمريكان" بمطار القاهرة الدولي حيث تم تفجيرها بعد إخلائها من الركاب.

توفي عبد الناصر في نفس الشهر، وتولى السادات الحكم.

www.maktabbah.blogspot.com

كان من تبعات تفجير طائرة "بان أمريكان" على المستوى القانوني، كيفية تحديد مسئولية شركات التأمين. فحيث إن طائرة "بان أمريكان" كانت مؤمنة لدى هيئة "اللويدز" البريطانية، وإذ كان والدي مستشارهم القانوني للشئون الدولية، فقد طلبوا منه الدفاع عن مصالحهم في هذه القضية حتى لا تتحمل الهيئة أعباء التأمين المرتفعة.

حدد لنظر القضية التأمينية محكمة أمريكية بنيويورك. كان موقف شركة "بان أمريكان" أن بوليصة التأمين تغطي قيمة الطائرة، حيث إنها فقدت جراء عملية حربية، والبوليصة تغطي أخطار الحرب. أما هيئة اللويدز، فكان موقفها أن هذا العمل لا يندرج تحت بند العمليات الحربية، إنما تعريفه هو عملية إرهابية لا تغطيها بوليصة التأمين.

وكان مصطفى الحفناوى، بصفته محامي اللويدز، عليه الالتزام برأي موكله. إلا أن هذا الرأي يحمل في طياته موقفًا سياسيًا تجاه إحدى

المنظمات الفلسطينية، وبصفته مصريًا، كان عليه أدبيًا أخذ رأي القيادة السياسية في هذا الشأن، منعا لإحراج الجانب المصري. مع العلم أن العلاقات مع الولايات المتحدة كانت لا تزال مقطوعة على المستوى الدبلوماسي.

لذلك، تم اللقاء بين الحفناوى والسادات لعرض الموقف الذي سيتبناه الحفناوى لصالح اللويدز وضد منظمة فلسطينية. ولم يتردد أنور السادات لحظة وقال باللفظ: "أيوه إرهابيين طبعًا، ديه مش مقاومة ولا عمل حربي إنهم يفجروا طيارة مدنية". فكان واضحًا. ثم كسبت هيئة اللويدز قضيتها خلال الشهور التالية.

وخلال هذا اللقاء في فبراير 1971 ، اتجه الحديث بين الرئيس السادات والدكتور الحفناوى إلى العلاقات بين مصر وأمريكا، فقال السادات للوالد: (الأمريكان زعلانين من عبد الناصر مش من مصر، لما تقابلهم هناك، قول لهم عبد الناصر كان "قليل الأدب"، إنما إحنا مستعدين نرجع العلاقات معاهم، ونبعد عن الروس تماما).

وانتهى بهذا "حديث الكواليس"، أما التاريخ المعلن للأحداث اللاحقة، فيعرفه الجميع.

maktabbah.blogspot.com

أكبر مكتبة للكتب و الروايات الحصرية
والمميزة والنادرة بصيغة PDF

تابعونا على الموقع الرسمي

www.maktabbah.blogspot.com

أو على قناة التيليجرام

t.me/alanbyawardmsr

9- شخصية عجيبة

منذ أكثر من ثلاثين عاما تعودت الحضور إلى منطقة جبلية خلابة بوسط فرنسا تتخللها الغابات والبحيرات والمراعي والقصور القديمة القائمة منذ العصور الوسطى. هذا المكان أجزم أن معظم الفرنسيين لا يعرفونه ولا يعرفون جمال طبيعته. لذلك قررت منذ سنوات طويلة أن يكون لي به بيتا لقضاء إجازاتي الصيفية، خاصة أن الأسعار لا تصل لربع أسعار بيوت المناطق الأخرى.. وقد كان.

www.maktabbah.blogspot.com

وعندما قررت التوقف عن العمل لبلوغي سن المعاش، زادت فترات إقامتي بالبيت الريفي الفرنسي مستغلا إياها في ترتيب وإصلاح ما يجب إصلاحه وتجهيزه بمزيد من وسائل الراحة. وخيرا فعلت، فمع أحداث الربيع العربي لم أتحمل أجواء الغازات المسيلة للدموع التي تخنقنا، حيث أقيم بجوار ميدان التحرير، كما أن المزرعة التي أنشأتها بجوار الإسماعيلية قد احتلها البدو واغتالوها، فما كان أمامي إلا نقل مقر إقامتي إلى هذا الموقع الجميل المجهول، مكتفيا بالفيسبوك للتواصل مع الوطن.

وفي ذلك التوقيت، جاءني أحد عمال البناء ليخبرني بأنه يقيم في الجوار شخص مصري... ولم أصدق طبعا أن يصل أي مصري أو عربي أو حتى أفريقي إلى هذه البقعة الأقل كثافة سكانية في أوربا. سألت العامل عن اسمه، فقال لي اسمه "بوافا"، وطبعا فهمت أنه غير مصري.. فأصر العامل قائلا وزوجته أسكوتلاندية ويريد أن يتعرف إليك. تعجبت وحاولت التنصل بأدب من هذه الدعوة.

بعد أيام جاءني بكارت من هذا المصري الافتراضي كتب عليه اسم (BOFF WAFA) بعنوان ورقم تليفون في أبوظبي بالإمارات، ولم يكن هذا الكارت ليقنعني بأن الشخص المعني مصري، لا اسما ولا عنوانا. فسألت الرجل عن عنوان إقامة هذا الغريب المهاجر من الإمارات،

وقررت أن أستطلع مكان إقامته. فركبت السيارة واتجهت إلى المكان الموصوف. وبعد تسلق جبال وهضاب، وعلى بعد عشر دقائق من منزلي، وفي طريق ضيق، وجدت منزلا عبارة عن "حظيرة حجرية" تم تجويلها لمنزل أنيق، وحوله سور من الحديد المشغول بأشكال عربية. فهمت أنه المكان المقصود، لكني امتنعت عن الدخول تخوفًا مما سألقاه كنوعية من البشر، وقررت أن أتعرف إليه تليفونيا أولا، لإشباع فضولي في السبب الذي أتى به إلى هذا المكان المقطوع.

www.maktabbah.blogspot.com

بعد مرور عدة أيام، تشجعت واتصلت بالسيد "بوافا" كما نطقها العامل.. (آلو السيد بوافا؟ فأتاني رد مصري بلدي: أيوه، أنت على بيه؟ في لحظة تخيلت وقوعي في مصيدة ما، لكني أكملت الحديث: أهلا وسهلا، حضرتك مصري؟ فرد عليّ: طبعا مصري، فسألته: لكن اسم حضرتك مش مصري! انفجر ضاحكا وشرح لي: "أنا اسمى محمد وفاء، ومنذ طفولتي جرت تسميتي بوف... هنا بدأت أطمئن بعض الشيء وسألته: وماذا أتى بك إلى مثل هذا المكان، فرد قائلا: هذه قصة طويلة، سأقصها عليك اليوم إن حضرت لتناول العشاء معي ومع بعض الأصدقاء الفرنسيين من الجيران، وعلَيّ الطلاق هازعل منك يا علي لو ماجيتش. هاهاها).

قبلت الدعوة وقررت الذهاب للتعرف إلى هذه الشخصية المصرية الموجودة سرًا بجواري، ماذا يفعل هنا؟ ولماذا هنا؟ والعديد من الأسئلة التي تحتاج إجابة. عند وصولي، تقدم السيد "بوف" سعيدا للترحيب بي، فوجدته رجلا مسنا، في نحو السبعين من العمر، له لحية بيضاء عظيمة مثل بابا نويل، مبتسما وضاحكا باستمرار. قام بتعريفي بزوجته الأسكوتلاندية التي لا تتحدث الفرنسية، سيدة فاضلة ضئيلة الحجم ولها ملامح الأوربيات المثقفات. ثم وجدت أن بوف يتحدث مع أصدقائه الفرنسيين بلكنة هو الوحيد القادر على تفسيرها في بعض الأحيان، فكنت أتدخل عند الضرورة للترجمة. فقال لي ضاحكا، أنا أعرف شوية إيطالي، لكن علمت نفسي شوية

فرنساوي بالممارسة منذ حضوري هنا.

وإيه اللي جابك فرنسا يا بوف، وأنت ومراتك لا تتكلمان الفرنسية؟ فقال لي: أنا مقيم في أبوظبي وسأتوقف عن العمل قريبا، فكنت مع زوجتي أبحث عن بيت في جنوب فرنسا، ولم نجد ما يروق لنا، فبدأنا نتجه شمالا تدريجيا، إلى أن وصلنا لهذا المكان، فرأت زوجتي أن الطبيعة هنا مشابهة للطبيعة في أسكوتلاندا، فقررنا شراء حظيرة بحالة جيدة، وتحويلها إلى منزل ريفي كما يفعل معظم المثقفين، لكن التكلفة كانت مرتفعة نتيجة استغلال المهندسين والمقاولين لعدم تمكني من اللغة.

ثم قص على بوف، هذا المصري، جاري الجديد، رحلة حياته من دون تفاصيل. ففهمت أنه كان في شبابه من ضباط الصاعقة في البحرية المصرية، وكان ضمن القوات المصرية التي نفذت العديد من العمليات أثناء حرب الاستنزاف.

www.maktabbah.blogspot.com

ترك الخدمة العسكرية بعد حرب أكتوبر 73 ، وجند نفسه ضمن الضفادع البشرية التي تعمل في قاع الخليج العربي لتركيب منصات البترول، وعندما توقف عن هذا العمل الشاق، قام بإنشاء شركة ضخمة للدعاية والإعلان في أبوظبي، حيث التقى بزوجته التي تعمل بمجال التدريس هناك.

استمرت العلاقة بيننا بكثير من المودة، ثم إن بوف كان إلى وقت قريب مقيمًا معظم أيام السنة في الخليج، ولم يستقر في منزله الريفي الفرنسي حتى من سنتين. وبالمناسبة هو الذي يقوم بكل الأعمال اليدوية لصيانة المنزل والعشرة أفدنة المحيطة به، وقد أنشأ ملعبًا للجولف لإشباع هوايته (4 ثقوب)، ثم مزرعة كبيرة للدواجن والبط، وأخرى للخراف التي يقوم بذبح بعضها بيده في العيد. بارع في استعمال الإنترنت، ولا يخاف من مواجهة المصالح الحكومية الفرنسية رغم لغته البسيطة. إذا مررت أمام منزله، وجدته

في كثير من الأحيان راكبا الجرار الزراعي لحرث الأرض. أتحدث عن رجل يزيد عمره على 76 عامًا ما شاء الله.

لكني اكتشفت في هذا الرجل الطيب شيئًا جديدًا لم أكن قد لاحظته من قبل؛ أنه فنان ورسام تشكيلي رائع، حتى إنني قررت أن أقيم له معرضا في مكان خاص، ودعوت الناس للافتتاح... وعندما سألته، متى وجدت وقتا لتعلم هذا الفن الرائع؟ فكان رده مفاجئا: أنا لم أذهب إلى أي مدرسة أو معهد، لكني تربيت في شبابي لفترة طويلة في منزل خالتي، وكان زوجها رساما شهيرا، فعملت معه كصبي، أعد الألوان وأعطيه ما يريد من أدوات، وأجلس أشاهد كل خطوة من إعداد اللوحة إلى نهايتها، حتى وصلت بملاحظتي هذه أنه كان يسألني رأيي إن كان مترددا بين خيارين، فسألته: ومن هو هذا الفنان الشهير؟

مكتبة
بيت الحصريات
www.maktabbah.blogspot.com
maktabbah.blogspot.com

فقال لي: "سيف وانلى".

يا خبر يا بوف، ده أعظم فنان خرج من مصر على مستوى العالم، وتباع لوحاته بالملايين، وأنت أكثر من اقترب من قلبه الفني، فكيف تتحول إلى ضابط صاعقة بالبحرية؟ لم يرد، لكني فهمت أن ما مرت به مصر في حرب الاستنزاف جذب إلى الميدان خيرة شبابها من الوطنيين.

هذه هي قصة جـاري المصري، ذي الشخصية العجيبة الذي هبط بالباراشوت على جبال فرنسا لينعم بشيء من الهدوء. شخصية تستحق التمجيد والإعجاب.